اسم الكتاب: الفرقان في بيان منزلة القرآن.
المؤلف: صلاح فتحي هَلَل.
طبعة: مكتبة الأنصار ، بالقاهرة.
ملاحظة: اجتهدنا في كتابة هذا الكتاب على الوورد ، نقلاً عن المطبوع ، وقد اجتهدنا في مراجعتِه على المطبوع قدر استطاعتنا ، ونستغفر الله مما ربما فاتنا ، أو أخطأنا فيه أثناء النقل من المطبوع.
ونرجو العودة للمطبوع عند الاستشكال.
ويلاحظ أن صفحات المكتوب هنا قد تغيَّرَتْ أرقامها عن أرقام صفحات المطبوع.
ولا تنسوا مَنْ كَتَبَه على الوورد من دعواتكم الصالحات بظهر الغيب.

الْفُرْقَان

في

بَيَانِ مَنْزِلَةِ الْقُرْآن

صلاح فتحي هَلَل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنعم على بعض عباده برعاية الأصول ، وهداهم بفضله إلى تمييز المردود من المقبول ، ومعرفة الحقّ من الباطل المعمول ، ومَنَّ عليهم بنعمة العقول ، ومَدَّهُم بمدَدٍ من المعقول والمنقول ، فبصَّرَهم صراطَه المستقيم وطريقه المأمول ، وَنَجَّاهم بفضله من ضلال الهوى المنحول.

له الحمد حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، ملء الأرض والسماء ، وملء ما شاء ربُّنا من شيءٍ بعد.

والصلاةُ والسلام على أشرف الخلق ، وإمام الحق ، وزعيم الهداية ، وصاحب الدراية ، نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وارْضَ اللهمَّ عن الآل والصَّحْبِ والتَّابعين.

وبعد:

فإنَّ ((مِنْ أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه ، وأولى ما يلزم بحثه: ما كان لأصل دينهم قوامًا ، ولقاعدة توحيدهم عمادًا ونظامًا ، وعلى صِدق نبيِّهم برهانًا ، ولمعجزته ثبتًا وحجةً ، ولا سيما أنَّ الجهلَ ممدودُ الرواق ، شديد النفاق ، مستولٍ على الآفاق ، والعلم إلى عفاء ودروس ، وعلى خفاء وطموس ، وأهله في جفوة.. حتى صار ما يكابدونه قاطعًا عن الواجب من سلوك مناهجه والأخذ في سبله.

فالناس بين رجلين: ذاهب عن الحق ، ذاهل عن الرشد ، وآخر مصدودٌ عن نصرته ، مكدود في صنعته.

فقد أدَّى ذلكَ إلى خوضِ الملحدين في أصول الدين ، وتشكيكهم أهلَ الضعف في كلِّ يقين ، وقد قلَّ أنصاره ، واشتغل عنه أعوانه ، وأَسْلَمَهُ أهلُه فصار عُرْضَةً لمن شاء أن يتعرَّض فيه ، حتى عاد مثل الأمر الأول على ما خاضوا فيه عند ظهور أمره ، فمِنْ قائلٍ قال: إنه سحر ، وقائل يقول: إنه شِعْر ، وآخر يقول: إنَّه أساطير الأولين ، وقالوا: لو نشاء لقلنا مِثْل هذا ، إلى الوجوه التي حكى الله عز وجل عنهم أنهم قالوا فيه ، وتكلموا به فصرفوه إليه ، وذُكِرَ لي عن بعض جُهَّالِهِمْ أنَّهُ جعلَ يعدله ببعض الأشعار ، ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ، ولا يرضى بذلك حتى يفضله عليه.

وليس هذا ببديع من ملحدة هذا العصر ، وقد سبقهم إلى عِظَم ما يقولونه إخوانهم من ملحدة قريش وغيرهم ، إلا أنَّ أكثر مَنْ كان

طعن فيه في أول أمره استبان رشده ، وأبصر قصده ، فتاب وأناب ، وعرف من نفسه الحق بغريزة طبعه ، وقوة إتقانه ، لا لتصرُّف لسانه؛ بل لهداية ربِّه وحُسْنِ توفيقه.
والجهلُ في هذا الوقت أغلب ، والملحدون فيه عن الرشد أَبْعَدُ ، وعن الواجب أَذْهَبُ))[1].
ولذا رأيتُ أَنْ أُقَيِّدَ مِنَ الفصولِ ما يكشفُ عن منزلةِ القرآن ، ويُبيِّنُ عِظَمِ مكانتِه في الإسلام والإيمان ، معتمدًا في ذلك على الآيات ، وما وردَ في أحاديث الثقات ، ومسترشدًا بكلام أئمة الدين، وأصحاب المذاهب المتبوعين ، مع الإعراض عن شبهات المتكلِّمين ، وقضايا المتفلسفين.
ورسمتُ ذلكَ على سَنَنِ أئمةِ السُّنَّةِ والجماعةِ في نظافةِ المأْخذِ ، وصِحَّةِ الاستدلال.
وبنيتُ الكتابَ على محورين:
الأول: في إثباتِ أَنَّ القرآنَ كلامُ الله عز وجل ، غيرُ مخلوقٍ ، وأَنَّ كلامَهُ صفةٌ مِنْ صفاتِ ذاتِه سبحانه وتعالى ، قائمةٌ به ، لم يزل سبحانه وتعالى متكلِّمًا ، قبل وبعد نزول القرآن.
والمحور الثاني: في بيان بعض اللوازم الواجبة تجاه كلام الله جلَّ شأنه.
وقَيَّدتُ لك في اللوازم:
تنزيه القرآن عن مشابهة كلام المخلوقين ، وتنزيه كلامه وآياته عن النَّقْد اللُّغوي ، والعمل بأحكامه جملةً وتفصيلاً ، وتنزيهه عن السَّبِّ والطعن والقدح بكافَّة سُبل الطعن والغمز واللَّمْز ، وبيان أَنَّ الطعنَ في القرآن أو تناوله بالسَّبِّ والقدح؛ يعني الطعن في قائله المتكلِّم به وهو الله سبحانه وتعالى ، سواءٌ كان ذلك بالسَّبِّ الصريح أو عن طريق الغَمْز واللَّمْزِ لمقام القرآن أو بعض آياته بوجهٍ من الوجوه ، وسواءٌ صَدَرَ ذلك مِنْ قائِلِهِ تَعَمُّدًا ، أو على سبيل الجهلِ وعدم المعرفة ، وبيان أَنَّ الجِدَّ والهزلَ في ذلكَ سواءٌ لا فَرْقَ بينهما.
واكتفيتُ بهذه اللوازم عن غيرها ، ورأيتُ فيها غنىً وكفايةً لكلِّ طالبٍ ، ومَقْنَعًا لكلِّ راغبٍ.
فهذه رؤوس ما قَيَّدتُ لكَ في هذا الكتاب ، لك غُنْمه وعليَّ غُرْمه ، فخُذْ بأَحْسنِه ، وأَصْلح ما تراه فيه من خللٍ ، وما قد يعتري القلم من زللٍ؛ إِذْ لم أَطْمع منك في ثوابٍ أو عقاب ، وإنَّما أردتُ

---

[1] () من مقدمة الإمام أبي بكرٍ الباقلاني رحمه الله لكتابه ((إعجاز القرآن)).

النصيحةَ والدفاعَ عن آياتِ الكتـاب ، فلا تعْجـلْ بـاللومِ والعتـاب ، وفي القرآن العظيم: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَـانُ} [سورة الرحمن: 60].

واللهَ أسألُ أن يكتبَ السداد والرشاد ، وأن يُلْهِمَ الإخلاص في القول والعمل.

ورَحِمَ اللهُ رجلاً وقَفَ على عيبٍ لي فأَصْلَحَهُ ، واسْتَغْفَرَ الله لأخيهِ؛ فإنما أنا بشرٌ أُخْطِيء؛ وقد أُصيب!!

وما أحسن ما قاله الإمام مسلم بن الحجَّاج صاحب كتاب ((الصحيح)) المشهور رحمه الله: ((فليس مِنْ ناقلِ خبرٍ وحامل أَثَرٍ من السلف الماضين إلى زماننا وإِنْ كان من أحفظِ الناس وأشدّهم توقِّيًا وإِتْقانًا لِمَا يحفظ وينقل إلَّا الغلط والسهو ممكنٌ في حفظه ونَقْلِهِ))[1]أهـ

وما أَرْوَع قول الإمام الخَطَّابي رحمه الله في مقدمة كتابه ((غريب الحديث)): ((وكلُّ مَن عَثر منه على حرفٍ أو معنىً يجب تغييره فنحن نناشده الله في إصلاحه ، وأداء حقّ النصيحة فيه ، فإِنَّ الإنسان ضعيفٌ لا يسلم من الخطإِ إلَّا أَنْ يعصمه الله بتوفيقه))أهـ

وقول أبي الطيب الوشاء في كتابه ((الموشى))[2]: ((وشَرِيْطتنا على قارئ كتابنا الإِقْصار عن طلب خطئنا ، والصفح عمَّا يقف عليه من إغفالنا ، والتجاوز عمَّا ينتهي إليه من إهمالنا ، وإِنْ أدَّاه التَّصفح إلى صواب نَشَرَهُ ، أو إلى خطإٍ سَتَرَهُ؛ لأنه قد تقدمنا بالإقرار ، ولابد للإنسان من زللٍ وعثار ، وليس كل الأدب عرفناه ، ولا كل علمٍ دريناه ، وعلينا في ذلك الاجتهاد ، وإلى الله الرشاد ، وقلَّ ما نجا مُؤَلِّف لكتابٍ من راصدٍ بمكيدةٍ ، أو باحثٍ عن خطيئة))أهـ

---

[1] كتاب ((التمييز)) للإمام مسلم رحمه الله (ص/170).

[2] نقلاً عن ((المروءة وخوارمها)) لمشهور حسن (ص/6).

والله هو هادي الخلق إلى الحقِّ ، وهو أرحم الراحمين.

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم وبارِك على عبدك ونبيك محمدٍ .

صلاح بن

فتحي هَلَل

الموافق: 19مايو 2000م

SALAH_HALL@GAWAB.COM

الباب الأول
في
إثبات أَنَّ القرآنَ كلامُ الله
غيرُ مخلوقٍ

فصلٌ
الْقُرْآنُ كلامُ اللهِ

القُرْآنُ كلامُ اللهِ

[illegible]

---

[1] () يعني: ظهرت.

[2] () «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي في «الباب: السادس والستين» (ص/416ـ 417تحقيق: د. التركي).

[3] () في «سير النبلاء»: «..... إلى بعد المئتين؛ فظهر المأمون الخليفة ـ وكان ذكيًّا متكلمًا ، له نظرٌ في المعقول ـ فاستجلب كتب الأوائل ، وعرَّبَ حكمةَ اليونان.....».

[4] () يعني: لم يلبث.

[1] «مختصر العلو للإمام الذهبي رحمه الله» اختصار الشيخ الألباني رحمه الله (ص/173ـ 174) ، ونحوه في «سير أعلام النبلاء» للذهبي رحمه الله (11/236ـ مختصرًا).

[2] وانظر في ذلك: «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري (ص/582ـ فصل: القول في القرآن).

[illegible]

[illegible]

[illegible]

- **فمِنْ آيات الله [illegible]:**

قوله تعالى: [illegible]وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ [illegible] [التوبة:6].

[illegible] [illegible].

- [illegible]:

[illegible]: «[illegible]»[1].

---

[1] () **حديث صحيح:**

وقد ورد عن جابرٍ [illegible]:

[illegible]:

[1] () رواه ابن الجوزي في «فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن» (ص/39ـ40 ، بتحقيقي ـ ط: مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت) من طريق محمد بن عيسى بن سلام الآدمي [كذا في «الفنون» ، والذي في «اللآليء» للسيوطي (1/6): «أبو بكر بن محمد بن عيسى بن سلام الآدمي»؛ كذا ، ولم أظفر به في «أبي بكر» أو «محمد»] ، قال: حدثنا عبد الملك بن عبد ربه الخواص ، قال: حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، عن حسان بن عطية ، عن أبي الدرداء به.

وعزاه السيوطي في «اللآليء» (1/6) لأبي القاسم بن بشران في «أماليه» من رواية محمد بن الحسين بن حميد ، حدثنا أبو بكر بن محمد بن عيسى بن سلام الآدمي ..... به.

قال الذهبي في «زان» (2/658 رقم 5223) في ترجمة «عبد الملك بن عبد ربِّه»: «منكر الحديث ، وله عن الوليد بن مسلم خَبَرٌ موضوعٌ»أهـ

[illegible]

وقال السيوطي في «اللآليء»: «فما رأيت لهذا الحديث من طبٍّ»أهـ
ورواه ابن بطة في «الإبانة» (1/284ـ285رقم 51/ الرد على الجهمية) ، والخطيب في «المتفق والمفترق» والشِّيرازي في «الألقاب» ـ كما في «اللآليء» (1/5) ـ من رواية أحمد بن إبراهيم النقلبي ، حدثنا الوليد .... به.
وقال الخطيب: «حسان لم يدرك أبا الدرداء ، وأحمد بن إبراهيم مجهول» أهـ
ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ـ كما في «لسان الميزان» و«اللآليء» ـ من رواية محمد بن هارون ، حدثنا أبو نصر منصور بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك القزويني ، حدثنا أبو سليمان: داود بن سليمان ، حدثنا الوليد بن مسلم .... به.
قال أبو نصر ـ وهو القزويني المذكور ـ: «وكان أحمد بن حنبل يقول لأصحاب الحديث: اذهبوا إلى أبي سليمان فاسمعوا منه حديث الوليد بن مسلم؛ فإنه لم يروه غيره ، وأبو سليمان عندنا ثقة مأمون»أهـ
قال الذهبي في ترجمة «القزويني» من «الميزان» (4/183 رقم 8769): «منصور بن إبراهيم القزويني :لا شيء ، سَمِعَ منه أبو علي بن هارون بمصر حديثًا باطلاً» .
قال ابن حجر في «اللسان» (7/151 رقم 8669): «والحديث الذي أشار إليه المؤلف ـ [يعني: الذهبي] ـ: أورده ابن عساكر في ترجمة أبي علي بن هارون ...». فذكر الحديث.
ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (9/334) بإسناد آخر ، من رواية صدقة بن هبيرة ، قيل له: حدَّثَكَ يوسف بن يعقوب المعدل ، حدثنا حفص بن إبراهيم ، حدثنا إبراهيم بن العلاء الإسكندراني ، عن بقية بن الوليد ، عن ثور بن يزيد ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ، عن أبي أمامة - [كذا] - مرفوعًا بلفظ: «من مات وهو يقول القرآن مخلوق؛ لَقِيَ الله يوم القيامة ووجهه إلى قفاه».
وقال الخطيب : هَن بين ابن هبيرة وبقية لا يُعْرف ، وثور بن يزيد لم يدرك أم الدرداء»أهـ
وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (1/154 رقم 236 ـ تحقيق: د. نور الدين بن شكري ، ط: أضواء السلف) من طريق الخطيب بإسناده ، وسقط ذِكْر «أبي أمامة» من كتاب ابن الجوزي.
ونقل ابن الجوزي كلام الخطيب ثم قال: «وقد ذكرنا أن بقية كان يروي عن المجهولين والضعفاء ، وربما أسقط ذِكْرهم وذِكْرَ مَن رَوَوْا له عنه» أهـ

وقال الذهبي في «الميزان»: «إبراهيم بن العلاء الإسكندراني عن بقية وعنه حفص بن إبراهيم هو والراوي عنه مجهولان قاله الخطيب» وقال في ترجمة: «حفص بن إبراهيم عن إبراهيم بن العلاء الإسكندراني عن بقية وعنه يوسف بن يعقوب المعدل قال الخطيب ثلاثتهم مجهولون».
ولم يزد عليه ابن حجر في «اللسان».
انظر: «لسان الميزان» (1/84) (2/320).
قال البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/239): «ونقل إلينا عن أبي الدرداء

1 () جزء من حديث «الإفك» الطويل.
وقد رواه البخاري (4141/ وغير موضع) ، ومسلم (2770).
2 () «فنون الأفنان» لابن الجوزي (ص/42 فما بعد).
3 () رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (1/143 ـ 144 رقم 166) ومن طريقه البيهقي في «الاعتقاد» (ص/102) و«الأسماء والصفات» (ص/239 ـ 240) وقال في الأخير منهما: «وهذا إسنادٌ صحيح».
والأثر رواه أيضًا: ابن خزيمة في «التوحيد» (1/404 ـ 405 رقم 237).
وعَلَّقَهُ البخاري في «خَلْق أفعال العباد» (ص/41) بدون إسناد.
والقصة عند الترمذي (3191 ـ 3194) من غير وجهٍ بدون موضع الشاهد.
4 () أخرجه أحمد في «الزهد» (ص/35) ، وابنه عبد الله في «السنة» (1/144-145 رقم 117-118) ، وعثمان بن سعيد في «الرد على الجهمية» (ص/78) ، وأبو محمدٍ الدارمي في «السنن» (2/440-441) ، والآجري في «الشريعة» (ص/76-77) ، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص/104) وفي «الأسماء والصفات» (ص/242-243).

[illegible]

---

[1] () أخرجه البيهقي في «الاعتقاد» (ص/105) وفي «الأسماء والصفات» (ص/243) من رواية أبي عمر بن أيوب الصريفيني ، ثنا سفيان بن عيينة ، ثنا إسرائيل أبو موسى ، قال: سمعتُ الحسنَ يقول: قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان... فذكره.

وهو في «السنة» لعبد الله بن أحمد (1/147 رقم 122) حدثني أبو معمر ، حدثنا سفيان قال: قال عثمان بن عفان ... [illegible]

[2] () رواه ابن أبي حاتم ـ ومن طريقه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/243) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (2/229 رقم 372) ـ قال: حدثنا محمد بن حجاج الحضرمي المصري ، قال حدثنا مُعَلَّى بن الوليد بن عبد العزيز بن القعقاع العبسي ، قال: حدثنا عتبة بن السَّكَن الفزاري ، قال: حدثنا الفرج بن يزيد الكلاعي ، قال: قالوا لعليٍّ يوم صِفِّين: حكمتَ كافرًا أو منافقًا؟ قال: «ما حَكَّمْتُ مخلوقًا؛ ما حكَّمْتُ إلا القرآن».

وهذا إسنادٌ مسلسلٌ بالمجاهيل ، وعُتْبة بن السَّكَن الفزاري قال الدارقطني: متروكٌ ، وقال البيهقي: واهٍ منسوبٌ إلى الوضع ، وذَكَرَهُ ابنُ حبان في «الثقات» فقال :يُخطئ ويُخالِف ، وقال البزار رَوَى عن الأوزاعي أحاديث لم يُتَابَع عليها.

وهو من رجال «لسان الميزان» (5/130 رقم 5562).

والمُعَلَّى القيسي قال ابن حبان: ربما أغرب.

وهو من رجال «لسان الميزان» أيضًا (7/125 رقم 8595).

ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (2/228 ـ 229 رقم 370 ـ 371) ، وابن بطة في «الإبانة» (2/38 ـ 39 رقم 231/ الرد على الجهمية) من رواية عَمْرو بن جُمَيْع ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس قال: لمَّا حَكَّمَ عليٌّ الحكَمَيْن قالتْ له الخوارج: حكَّمْتَ رجلين؟ قال: ما حكَّمْتُ مخلوقًا؛ إنما حَكَّمْتُ القرآن».

وعمرو بن جميع: كذَّبه ابنُ معين ، وقال البخاري: منكر الحديث ، وتركه النسائي والدارقطني وجماعةٌ ، وقال أبو نعيم: يروي عن هشام بن عروة المناكير ، وقال الحاكم: روى عن هشام بن عروة وغيره أحاديث موضوعة ، وقال ابن عدي: كان يُتَّهَم بالوضع. وقال النَّقّاش: وأحاديثه موضوعه.

انظر: «لسان الميزان» (5/347 ـ 348 رقم 6337).

[illegible]

قال البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/243): «هذه الحكاية عن عليٍّ [illegible]

[illegible]

[3] رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (2/216 ـ 217 رقم 354) من رواية سفيان بن عُيينة ، عن محمد بن سوقة ، عن مكحول ، عن ابن عباس ، به.

ومكحول لم يسمع من ابن عباس.

ورواه اللالكائي (2/217 رقم 355) ، والآجُرِّيّ في «الشريعة» (ص/77) ، وابن بطّة في «الإِبانة» (1/288 رقم 56 – الرد على الجهمية) ، والبيهقي في

[illegible]

[illegible]

[illegible]

«الأسماء والصفات» (ص/241-242) ، من رواية عبد الله بن صالح ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن عليِّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس.
وسقط ذِكْر «معاوية» من مطبوع كتاب اللالكائي؛ فليُسْتَدْرَك.
ورواه ابن بطة أيضًا (1/289 رقم 57) من رواية ابن وهبٍ ، حدثنا معاوية بن صالح ، بإسناده.
وعلَّقَهُ البغويُّ في «شرح السنة» (1/183) قال: «ورُوِيَ عن ابن عباس... » فذَكَرَهُ.
قال الآجريُّ (ص/78): «وقال حموية بن يونس: بلغ أحمد بن حنبل هذا الحديث؛ فكتب إلى جعفر بن محمد بن فُضَيْل يكتب إليه بإجازته ، فكتبَ إليه بإجازتهِ ، فسُرَّ أحمد بهذا الحديث».
وذكر ابن بطة نحو هذا الحكاية (1/290 رقم 58) وعنده : فَسُرَّ أحمد بهذا الحديث ، وقال: كيف فاتني عن عبد الله بن صالح هذا الحديث»أهـ
وقد اعتمدَ البخاريُّ على صحيفة عليِّ بن أبي طلحة عن ابن عباس؛ كما ذَكَرَ ابنُ حجرٍ والسيوطيُّ.
وعلى بن أبي طلحة لم يسمع مِن ابن عباس.
لكن ذكَرَ المزِّيُّ أنَّ الواسطة بينهما: هو «مجاهد».
قال ابنُ حجرٍ: «بعد أنْ عُرِفَت الواسطة ، وهو ثقة ، فلا ضَيْرَ مِن ذلك».
بينما ذهب القاضي الشيخ أحمد بن محمد شاكر رحمه الله ، والشيخ أبو إسحاق الحويني حفظه الله إلى ضعف رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ لانقطاعها.
انظر: تعليق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله على «تفسير الطبري رحمه الله» (2/527-528) ، وحاشية الشيخ أبي إسحاق الحويني حفظه الله على «تفسير القرآن العظيم» لابن كثيرٍ رحمه الله (2/55-56 ، ط: دار ابن الجوزي).
والذي يظهر أَنَّ مثل هذه الصحيفة لا يُعَامَلُ مُعاملَة الرِّوايات المُجَرَّدَة؛ ما لم تأتِ بمنْكرٍ؛ ولذا اعتمد عليها البخاريُّ رحمه الله؛ والله أعلم.
وقد ورد هذا المعنى عن ابن عباس مِن وجهٍ آخر.
فرواه اللالكائي (2/230-231 رقم 375-376) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/242)مِن رواية علي بن عاصم ، عن عِمْران بن حُدَيْر ، عن عكرمة قال: «كان ابن عباسٍ في جنازة؛ فلما وُضِعَ الميتُ في لحده قام رجلٌ فقال: اللهم ربَّ القرآن اغفر له .فَوَثَبَ إليه ابنُ عباس فقال: مَهْ؟! القرآن منه». وفي لفظٍ: «القرآن كلام الله ليس بمربوب ، منه بدأ ، وإليه يعود».
وعليٌّ بن عاصم واهٍ ، وقال ابنُ معينٍ في روايةٍ: ليس بثقة.

[illegible]: ... {illegible}

وراجع ترجمته مِن «تهذيب الكمال» (20/504-520) مع التعليق عليه.

[4] () رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (1/152-153 رقم 135-136) ، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (2/236-237 رقم 387-389) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/246) موصولاً وعلَّقَه البيهقي في «الاعتقاد» (ص/107).

[1] () رواه البخاري في «خَلْق أفعال العباد» (ص/29) ، وابن بطة في «الإبانة» (2/6 – 8 رقم 183 – 184) ، واللالكائي (2/234 – 235 رقم 381 – 385) ، والبيهقي في «الأسماء» (ص/245) و«الاعتقاد» (ص/105) و«السنن الكبرى» (10/43).

وراجع أيضًا: «خَلْق أفعال العباد» للبخاري (ص/33).

وفي بعض الروايات: «سمعت» بدلاً من «أدركت» ، وفي رواية لابن بطة: «جالست» ، وفي كثيرٍ من الروايات عن عمرو: «أدركت أصحاب النبي ﷺ»

[illegible]

[illegible]

[1] انظر: ((الفقه الأكبر)) (ص/301) ، و((الروض الأزهر)) (ص/66 ـ 109).
وقال الإمام الطحاوي الحنفي رحمه الله تعالى في عقيدته (ص/24): ((ليس بمخلوق ككلام البريَّة ، فمَنْ سمعه فزعمَ أنَّه كلام البشر فقد كفر))أهـ
وقال الإمام الطحاوي أيضًا في إبطال الكلام النفسي: ((القرآن كلام الله ، منه بدأ بلا كيفية قولاً ، وأنْزَلَهُ على رسوله وحيًا ، وصدَّقَه المؤمنون على ذلك حقًّا ، وأيقنوا أنَّهُ كلامُ الله تعالى على الحقيقة)).

[2] () رواه ابن بطة في «الإبانة» (2/52 رقم 251) ، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (2/249 رقم 412) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/247).

[3] () زاد اللالكائي في روايته هنا: «قال: إنما أحكي كلامًا سمعته. قال: لم أسمعه من أحدٍ إنما سمعتُه منك».

[4] () عند اللالكائي: «قال أبو محمد ـ [وهو يحيى بن خلف] ـ فغلظ ذلك عليَّ؛ فقدمتُ مصر؛ فلقيتُ الليث بن سعد».
وهو الصواب؛ لأنَّ الليث من علماء مصر ، وذِكْر «البصرة» هنا خطأٌ؛ لعلَّهُ من نُسَّاخِ كتاب ابن بطة ، ويؤيد ذلك ذِكْر ابن لهيعة ، وهو مصريٌّ أيضًا؛ والله أعلم.

[illegible]

---

1 () وعند اللالكائي: «فلقيتُ عبدَ الله بن إدريس ، وأبا أسامة ، وعَبْدَة بن سليمان الكلابي ، ويحيى بن زكريا ، ووكيعًا؛ فحكيتُ لهم. فقالوا: كافر».

2 () مِن أول هنا مِن زيادات ابن بطة على اللالكائي والبيهقي.
وقد ساق البيهقي الرواية السابقة عن ابن بطة واللالكائي باختصارٍ عنهما؛ والله الموفِّق.

3 () «مسائل الإمام أحمد رحمه الله» برواية ابنه صالح (2/397-398 رقم 1072 ، ط: الهند).

4 () «السنة» لعبد الله بن أحمد (1/107 رقم 110) ، و«الشريعة» للآجُرِّيِّ (ص/79 – ط: الفقي) ، و«الإبانة» لابن بطة (2/70 – 71 رقم 293 ، الرد على الجهمية).
وخشيتُ أن تكون إحدى الروايتين مُصَحَّفَة عن الأخرى؛ لاقتراب «يتوب» مع «يموت» في الشَّبَه؛ والله أعلم.
لكن وجدتُه عند اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (2/314 – 315 رقم 496 – 500) بلفظ : ﴿يُقْتَلُ ولا يُسْتَتَاب».
وفي لفظٍ : ﴿يُحْبَسُ حتى يُعْلَم منه توبة».

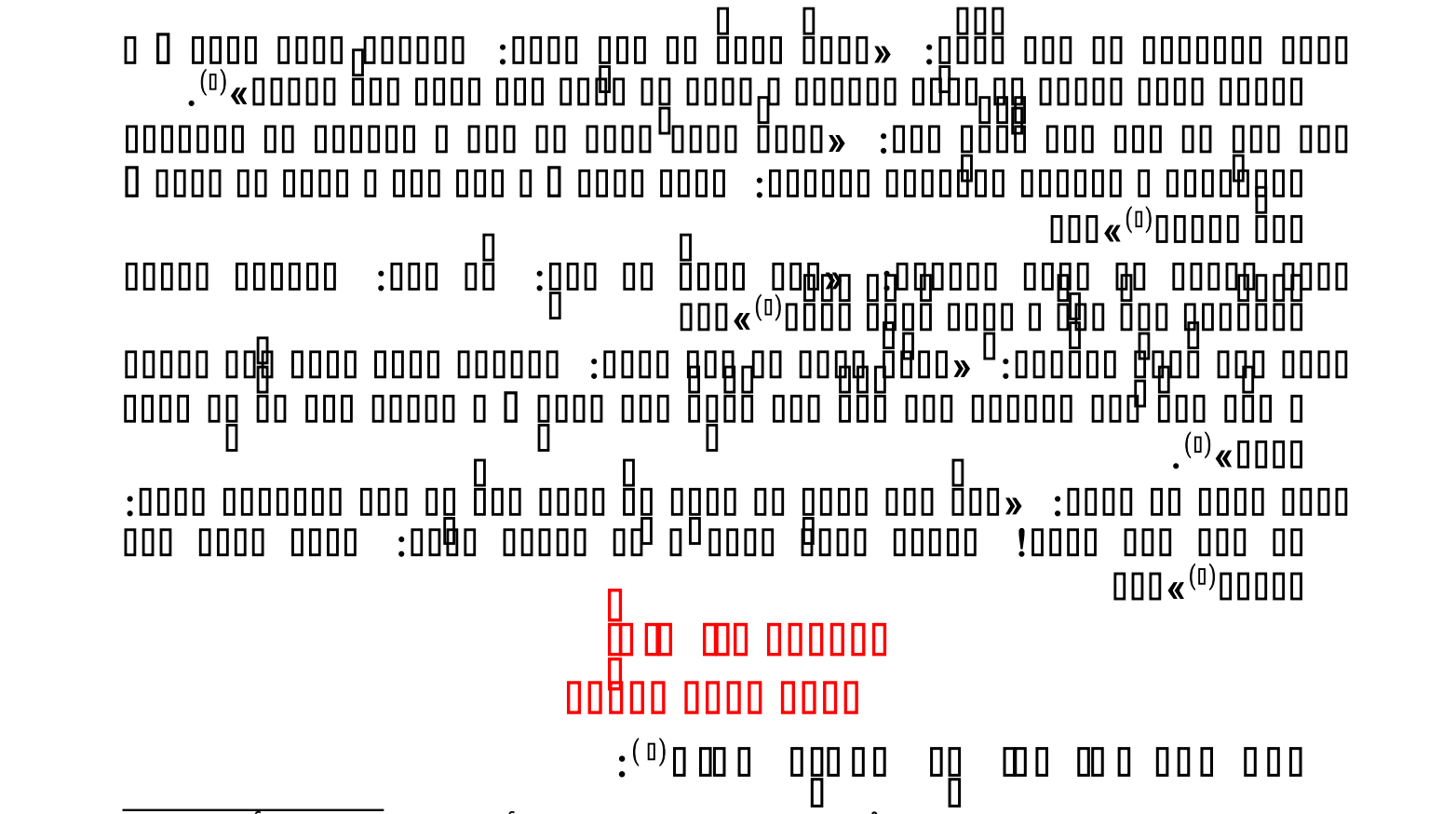

وفي لفظٍ: «قال مالكٌ: ويلك يا عبد الله لِمَنْ سألكَ عن هذه المسألة؟ قلت: رجلانِ ما أعرفهما. قال: اطلبهما فجئني بهما – أو بأحدهما – حتى أركب إلى الأمير فآمره بقتلهما أو حبسهما أو نفيهما»أهـ

وهذا يدلّ على صحّة الروايتين السابقتين باللَّفْظَيْن السابقين. والله أعلم.

[1] («الشريعة» للآجري (ص/79) ، و«الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية – الرد على الجهمية» لابن بطة (2/38 رقم 230) ، و«شرح أصول الاعتقاد» لأبي القاسم اللالكائي (2/249 رقم 410).

[2] («السنة» لعبد الله بن أحمد (1/156 رقم 145).

[3] («شرح أصول اعتقاد أهل السنة» لأبي القاسم اللالكائي (2/314 رقم 495).

[4] («الإبانة» لابن بطة (2/47 – 48 رقم 241 – الرد على الجهمية) ، و«شرح أصول الاعتقاد» لأبي القاسم اللالكائي (2/251 رقم 414) ، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (ص/248).

[5] () رواه ابن بطة في «الإبانة» (2/13 – 14 رقم 196- الرد على الجهمية) من رواية عبد الله بن هارون ، قال: سمعتُ محمد بن موسى... به.

وعبد الله بن هارون: هو أبو علقمة الفَرْوي الصغير ، له ترجمة في «كنى التهذيب» ، وهو متروك الحديث كما قال الدارقطني. وقال أبو أحمد الحاكم: منكر الحديث.

وراجع بقية أقوالهم فيه: في «تهذيب التهذيب» لابن حجر (12/172 – 173).

وقد ثَبَتَ ذلك عن الإمام مالكٍ من الوجوه السابقة ، والحمد لله تعالى.

[6] () وانظر للشافعي ومذهبه: «الشريعة» للآجري (ص/81 – 82) ، و«الإبانة» لابن بطة (2/51 – 52 رقم 249 – 250) ، و«شرح أصول الاعتقاد» لأبي القاسم اللالكائي (2/252 – 255 رقم 418 – 425) ، و«الأسماء والصفات»

[illegible]

(ص/251 – 252 ، 257 – 258) و«الاعتقاد» (ص/108 – 109) و«السنن الكبرى» (10/43) للبيهقي.

[1] () ذكر ابنُ أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (1/131 – 132 رقم 163): «الحسنَ بنَ ثواب» ونقلَ عن الخلال قوله: «كان هذا شيخًا جليل القَدْرِ ، وكان له بأبي عبدِ الله أُنْسٌ شديد».

وأوْرَدَ ابنُ أبي يعلى عن ابن ثواب مِن مسائله للإمام أحمد رحمه الله: «قلتُ: هؤلاء الذين يقولون: القرآن مخلوق؟ قال – [الإمام أحمد] -: كفار بالله العظيم.

قلت: فابن أبي دؤاد؟ قال: كافرٌ بالله»أهـ

لكن روى اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (2/263 رقم 450) مِن رواية أبي القاسم الحسن بن محمد بن إدريس ، قال: حدثنا الحسن بن أيوب ،

عبدالعنبي؛ حَدَّثُوا؛ مخلوق، غير مخلوق؟ فقل هؤلاء انتهى[2].

قل القرآن رحمة

61.

وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ الَّذِي

120.

إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ

145.

قال: سألت أحمد بن حنبل رحمه الله: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله غير مخلوق.
قال: قلتُ: ما تقول فيمن قال: مخلوق؟ قال: كافرٌ... »أهـ
وهذا مطابقٌ لما ذكره ابن الجوزي من رواية «الحسن بن ثواب» عن الإمام أحمد رحمه الله.
وأما «الحسن بن أيوب» فهو من أصحاب الإمام أحمد أيضًا ، وقد ذكره ابنُ أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (1/131 رقم 161) وقال: «روى عن إمامنا أشياء».
ويظهر أنه لم يشْتَهِرْ بالرواية عن الإمام أحمد شُهْرَةَ ابنِ ثواب ، و«ثواب» و«أيوب» قريبانَ في الشَّبَه من حيثُ الخطِّ والرسم ، فهل اشتركا في رواية ذلك عن الإمام أحمد رحمه الله؟ أم صُحِّفتْ إحداهما من الأخرى؛ لاقتراب الشَّبه بينهما في الرسم؟ الظاهر الأول ما لم تَقُمْ بيِّنةٌ على خلافه؛ والله أعلم.

[1] () رواه الخلال في «السنة» (5/137 – 139 رقم 1804) ، وابن بطة في «الإبانة» (1/291 – 293 رقم 61 – الرد على الجهمية).

[2] ()«فنون الأفنان» لابن الجوزي (ص/50 – 51).

[3] () يعني الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

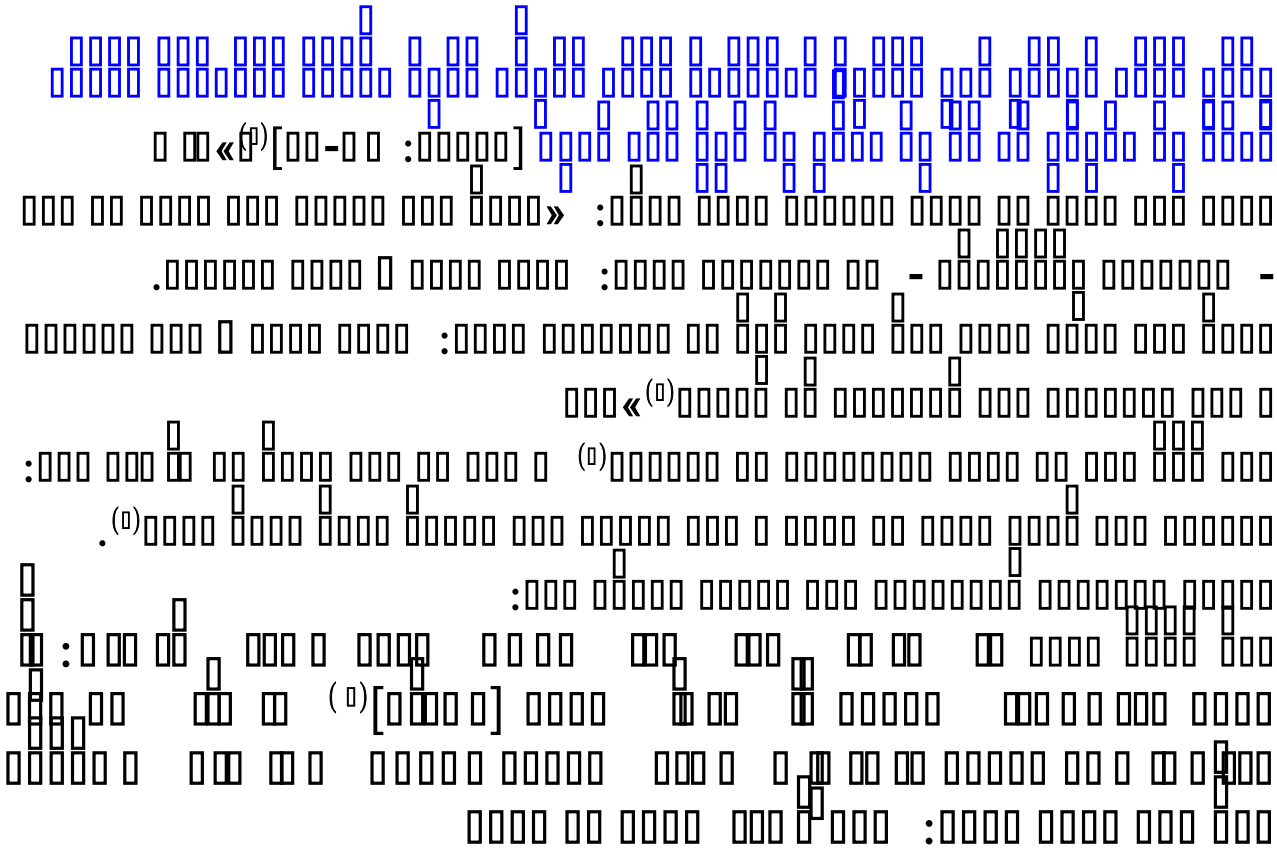

بسم الله الرحمن الرحيم

أَحْسَنَ الله عاقبتكَ أبا الحسن في الأمور كلها ودفع عنـك مكاره الدنيا والآخرة برحمته.

---

[1] () «السنة» لعبد الله (1/103 رقم 3 ـ تحقيق: القحطاني ، ط: رمادي للنشر).

[2] () المصدر السابق (1/132 رقم 79 – 80).

[3] () انظر على سبيل المثال: في الجزء الأول فقط مِن «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (1/21 ، 29 ، 46 ، 47 ، 62 ، 75 ، 76 ، 94 ، 95 ، 101 – 102 ، 103 ، 111 ، 115 ، 119 ، 120 – 121 ، 130 ، 132 وفيه كَفَّرَ ابن أبي دؤاد ، 142 ، 144 ، 149 ، 156 ، 157 ، 164 ، 170 ، 172 ، 173 ، 202 ، 212 ، 229 ، 242 ، 250 – 251 ، 257 ، 270 – 271 ، 278 – 279 ، 286 ، 288 ، 290 ، 295 ، 299 ، 324 ، 326 ، 328 ، 330 ، 331 ، 335 ، 340 ، 342 – 343 ، 396 ، 397 ، 398 ، 401 ، 412 ، 414).

[4] () «مسائل صالح عنه» (2/419 ـ 430 رقم 1104) و«سيرة الإمام أحمد» لصالح أيضًا (ص116) ، و«السنة» لعبد الله (1/134 رقم 84 ـ فما بعد) ، و«الحِلية» لأبي نعيم (9/216).
وراجع أيضًا: «السنة» لابنه عبدِ الله ، وكذا: «السنة» للخلال (5/125 ـ فما بعد) ، و«مناقب أحمد» لابن الجوزي (ص206 ـ 209 ، فما بعد/ تحقيق: د. التركي ، ط: هجر) ، وكذا: كتب الاعتقاد الأخرى المذكورة هنا في التعليق على هذا الباب.

[5] () من زيادات عبد الله على أخيه صالح.

قد كتبتَ إليَّ رضي الله تعالى عنك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين [أيَّدهُ الله][1] [من أمر][2] القرآن بما حضرني ، وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين][3] [أعزه الله بتأييده][4] ، فقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد يغتمسون فيه حتى أَفْضَتِ الخلافة إلى أمير المؤمنين [أيده الله عز وجل][5] ، فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق [المجالس]([6]) فصرف الله ذلك كله ، وذهب به[بأمير]([7]) المؤمنين [أعز الله نصره][8] ، ووقع ذلك من المسلمين موقعًا عظيمًا ، ودعوا الله لأمير المؤمنين ، فأسأل الله أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء وأن يتمم ذلك لأمير المؤمنين [أدام الله عزه][9] وأن يزيد في نيته([10]) ويعينه على ما هو عليه

وقد ذُكِرَ عن عبد الله بن عباس رحمة الله عليه[11] أنه قال: «لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعضٍ فإِنَّ ذلك يوقع الشك في قلوبكم».

وذُكِرَ عن عبد الله بن عمر أن نفرًا كانوا جلوسا بباب النبي

---

1 () من زيادات عبد الله على صالح.
2 () وقع في «الحلية»: «بأمر» بدلاً من «من أمر».
3 () من زيادت عبد الله وأبي نعيم.
4 () من زيادات عبد الله.
5 () من زيادات عبد الله.
6 () كذا في «السيرة» لصالح و«الحلية» لأبي نعيم ، والذي في «المسائل» لصالح و«السنة» لعبد الله: «المحابس» بالمهملة والموحدة.
7 () وقع في « المسائل » لصالحٍ: «أمير» بدون الموحدة ، والمثبت من المصادر الباقية.
8 () من زيادات عبد الله.
9 () من زيادات عبد الله.
10 () في «الحلية»: «بيته» بالموحدة بدلا من النون.
11 () هكذا ورد الترحُّم على ابن عباسٍ في «السيرة» ، وفي غيرها: «رضي الله عنهما».

[illegible]

[1] () عند عبد الله: «فزجرني» ، وفي «الحلية»: «فنهرني» والمعنى واحد.

[2] () من زيادات عبد الله.

[3] () من عند عبد الله وأبي نعيم.

[1] () من زيادات عبد الله وأبي نعيم.
[2])) في«الحلية»: «يا هذا».
[3] () من عند عبد الله ، وعند أبي نعيم: «تعالى».
[4] ()في «الحلية »: «وقال».
[5]() وقع في «الحلية»: «مبتلى».

(1) في «الحلية»: «يكلمه».

(2) في «المسائل»: «أصبعك» بالإفراد.

(3) من عبد الله وأبي نعيم.

(4) من زيادات عبد الله.

(5) عند عبد الله وأبي نعيم: «ذلك لذكرتها».

(6) من عبد الله ، وعند أبي نعيم: «تعالى».

[illegible]

وزَيَّفَ أبو محمدٍ التَّميمي رحمه الله قولَ أهل الضلال؛ ثم قال[4]:

ولأحمد بن حنبل رحمة الله عليه فيما هذا سبيله:

لعِلْمِ واهْجُرْ كلّ — وٍ إلى الأهواءِ مَيَّالُ
لوه يا هذا إلى بِدَعٍ — صحابُها بالقِيلَ
آنَ كلامُ اللهِ أنْزَلَهُ — قرآنُ بمخلوقٍ ولا
انَ مخلوقًا لصَيَّرَهُ — مانِ إلى موتٍ
بطَلُ ما لا شيء — بْلَى كلامُ الخالقِ
بالذي قالوا وإنْ — كَ بأقْيَادٍ وأغْلالِ
على كلِّ ما يأتِي — سِرْباله مِنْ خيرِ

وقد اشْتَهَرَتْ هذه العقيدة عن الإمام أحمد من غير وجـهٍ ، بحيـثُ يُسْـتَغْنَى

---

1 () من عند أبي نعيم ، وسقط ذِكْرُ هذه الآية الآتية من كتاب عبد الله.
2 () هكذا وردتْ صيغة الترحُّم على الصحابة.
3 () من «الحلية» لأبي نعيم.
4 () «عقائد الثلاث والسبعين فرقة» لأبي محمدٍ التيمي (الموضع الآتي ذِكْره قريبًا).

بشهرتها عن الاستطراد في حكايتها.

ومحنتُه رحمه الله في ذلك معلومةٌ للكافة؛ حتى قال الإمام عليُّ بن المَدِينِي رحمه الله: « أَيَّدَ اللهُ هذا الدين برجُلين لا ثالث لهما: أبو بكرٍ الصديق يوم الرِّدَّة ، وأحمد بن حنبل في يوم المِحْنَةِ»[1].

بل قال المَيْموني[2]:«سمعتُ عليَّ بن المديني يقول: ما قام أحدٌ في الإسلام بعد رسول الله ﷺ [illegible].

[illegible]

[illegible]

1 () «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (1/13).
2 () المصدر السابق (1/17).
3 () يعني: الميموني رحمه الله.
4 () وهو علي بن المديني رحمه الله.
5 () «مجموع الفتاوى» (12/358).

[illegible]

[1] () «فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن» ابن الجوزي (ص/53 ـ فما بعد ، بتحقيقي).

[2] () راجع: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»لأبي القاسم اللالكائي (2/227 ـ 233).

[3] () راجع: «شرح أصول الاعتقاد» لأبي القاسم اللالكائي (2/234 ـ فما بعد).

[illegible]

[illegible][1] [illegible].

[illegible].

[illegible].

[illegible]:

[illegible].

[illegible].

[illegible].

[illegible].

[illegible].

[illegible].

[illegible].

[illegible].

[illegible].

---

[1] () كذا وقع في كتاب ابن الجوزي ، ولم أُنَبِّه عليه في تحقيقي له ، والظاهر أنَّ المراد: عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة الحزامي ، مولاهم ، أبو بكرٍ المدني.
وليس المراد: ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد صاحب الْمُصَنَّفِ المشهور ، وكلاهما من رجال «التهذيب».
لكن لم أرَ في نَسَبِ الأول زيادة لفظة «أبي» في «أبي شيبة» والذي فيه «شيبة» بدون «أبي»؛ فلعل ذلك مِن ناسخ كتاب ابن الجوزي اختلط عليه بصاحب المُصَنَّفِ؛ والله أعلم.
وسيأتي ذِكْر عبد الله بن أبي شيبة صاحب المُصَنَّف أثناء أهل الكوفة.
فيُسْتَدْرَكُ ذلك في حاشية كتاب ابن الجوزي: «فنون الأفنان» ، ولا أدري كيف مَرَّ عليَّ التنبيه على هذا أثناء تحقيقي لكتاب ابن الجوزي رحمه الله ، فأستغفر الله وأتوب إليه ، ورَحِمَ الله رجلاً رأى ذلك فأصْلَحَهُ مِنْ هنا.

[1] () وقع في المطبوع مِن «فنون الأفنان»: «رحمويه» بالراء المهملة ، فتُعْجم بالزاي أخت الراء.

[2] () لم يَتَحَوَّل ابن المديني عن قول أهل السنة أصلاً؛ وإنما أجاب خوفًا مِن السَّيْف وفقط ولا حجة في قولِ مُكْرَهٍ؛ والله أعلم.

[1] () وقع في بعض نسخ «كتاب ابن الجوزي»: «بكتاب الله وسنة رسوله».

[1] () وله في ذلك أيضًا نقلٌ مطوَّلٌ أوْرَدَهُ ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (52/58 – 60)؛ فراجعه.

وقد نقل البخاري القول بأَنَّ القرآن كلام الله غير مخلوقٍ عن جماعاتٍ مِن السلف رضي الله عنهم.

«**الأصار** **حجازًا** **وشامًا** **ويَمَنًا؛**
مخلوقٌ؛ **العظيم**.
»[1]

جرير الطبري

:«
».
»[2]

:«

»[3]

---

[1] () «عقيدة أبي حاتم وأبي زرعة» للحداد (ص/137 فما بعد ـ ط: دار الفرقان).

[2] () «التبصير في معالم الدين» لابن جرير الطبري (ص/201 ـ تحقيق علي بن عبد العزيز الشِّبل ، ط: دار العاصمة).

[3] ()«التوحيد» لابن خزيمة (1/404 ـ تحقيق: د. عبد العزيز الشهوان ، ط: الرشد).

[1] ()«العقيدة الطحاوية» (ص/168) ـ مع شرحها ، ط: الألباني رحمه الله.

[2] ()«الشريعة» (ص/75).

[illegible]

1 () كذا في الأصل في الموضعين: «وفي المصاحف ، وفي ألواح» ، ولعل المراد في الموضعين: «أو في المصاحف أو في ألواح» ، والمعنى ظاهر على كلِّ حال؛ والله أعلم.

2 () «كتاب: الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة» (ص/184 ـ 185 ، تحقيق: د. رضا بن نعسان معطي ، ط: المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة).

3 ()«الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفِرَقِ المذمومة» (الكتاب الثالث: الرد على الجهمية) (1/213 ، ط: دار الراية).

4 () يعني: المؤمنين.

5 () كذا في الأصل.

[illegible]

---

1 () بحيث استغرق ذلك مِن (1/216) وحتى (2/296) من كتابه هذا.

2 ()«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لأبي القاسم اللالكائي (2/216 ـ تحقيق: الدكتور أحمد سعد حمدان ، ط: دار طيبة).

3 () السابق (2/224).

4 () السابق (2/227).

5 () السابق (2/234).

6 () السابق (2/241).

7 () «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» للصابوني (1/107 ـ ضمن الرسائل المنيرية).

[1] () «الاعتقاد» للبيهقي (ص/94).

[2] () المصدر السابق (ص/107) ، وطَوَّل البيهقيُّ في بيان ذلك ، ونَقَلَ في ذلك عن الشافعي وغيره؛ فراجعه.

وراجع له أيضًا: «الأسماء والصفات» (ص/181 ـ 276).

[3] ()«شرح السنة» له (1/186).

[4] () يعني: ظهرت.

[5] ()«مناقب الإمام أحمد رحمه الله» في «الباب السادس والستين» (ص/416 ، تحقيق: د. التركي).

1 ()«عقائد الثلاث والسبعين فرقة» لأبي محمد التيمي رحمه الله (من علماء القرن السادس الهجري) (ص/294 ـ تحقيق: محمد بن عبد الله الغامدي ، ط: مكتبة العلوم والحكم).

2 () السابق (ص/405 ـ 406).
وانظر منه أيضًا: (ص/602 ـ 605).

3 ()«العقيدة الواسطية» بشرح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى (2/93)؛ وراجعه.
وبَسَطَ شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الكلامَ في ذلك في مواضع مِن «درء التعارض» وكذا «الفتاوى» له التي قام على جمعها ابن قاسم.

[1] () «مجموع الفتاوى» (5/83).

[2] ()«القصيدة النُّونيَّة» لابن القيم (1/102 ـ فما بعد ، تحقيق: الشيخ هراس ، ط: الفاروق للطباعة بالقاهرة) (1/262 ـ فما بعد ، بشرح ابن عيسى ، ط: المكتب الإسلامي).

[illegible]

---

[1] () وراجع أيضًا:
«الشريعة» للآجري (ص/75 ـ 96 ، ط: الشيخ الفقي رحمه الله).
و «السنة» لعبد الله بن أحمد رحمهما الله (1/101 ـ 179 ، ط: القحطاني).
و«ردّ الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد» (ص/108 ـ 128 ، ط: الفرقان بالقاهرة).
و«السنة» للخلال (5/83 ـ 146 ، ط: دار الراية).
و«الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» لابن بطة (1/212) وحتى (2/296 ـ الرد على الجهمية ، ط: دار الراية).
و«التوحيد» لابن خزيمة (1/328 ـ 405 ، تحقيق: د. عبد العزيز الشهوان ، ط: الرشد).
و«شرح أصول الاعتقاد» لأبي القاسم اللالكائي (2/316) وحتى (3/385 ، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان ، ط: دار طيبة).
و«التبصير في معالم الدين» لابن جرير الطبري (ص/200 ـ 203 ، تحقيق علي بن عبد العزيز الشِّبل ، ط: دار العاصمة).
و«الاعتقاد» للبيهقي (ص/94 ـ 111 ، تحقيق: أحمد عصام الكاتب ، ط: دار الآفاق الجديدة).
و«الأسماء والصفات» للبيهقي أيضًا (ص/181 ـ 276 ، ط: المركز الإسلامي للكتاب).
و«عقيدة السلف وأصحاب الحديث» لإسماعيل الصابوني (1/107 ـ 109 ، ضمن الرسائل المنيرية).
و«العقيدة الطحاوية» (ص/168 ـ فما بعد ، تخريج الشيخ الألباني رحمه الله ، ط: المكتب الإسلامي).
و«العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بشرح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (2/93 ـ 100 ، ط: دار ابن الجوزي).
وانظر أيضًا: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي رحمه الله (2/31 ، 32) (4/151 ، 153 ـ 154) (5/175 ، 309) (6/239 ، 271) (7/28 ، 58 ، 62 ـ 65 ، 83 ، 176 ، 295 ، 365) (8/65 ، 203 ، 210 ، 487) (9/88 ، 243) (11/72 ، 135).
وبسطَ ذلك وفصَّلَهُ أيضًا:
الإمام أحمد رحمه الله في رسالته السابقة إلى عُبَيد الله بن يحيى في «القرآن».
وعثمان بن سعيد الدارمي في «الردِّ على الجهمية» (ص/72 ـ 104 ، ط: الفرقان بالقاهرة).
وانظر منه أيضًا: (ص/108 ـ 128).

فصلٌ
في معنى قولِهم: «مِنْه بَدَأَ وإِليهِ يَعود»

ومعنى ذلك أنَّ الله ﷻ قد تكلَّمَ بالقرآن حقيقةً, ولم يخلقه أو يُجْريه على لسانِ غيره كما تذهب إليه الجهميّه قاتلهم الله؛ وإنما تكلم به ﷻ على الحقيقة, وأوحاه إلى نبيِّه ﷺ .

ومعنى «إليه يعود»: يعني أنه يرفعه إليه ثانية, فلا يترك منه شيئًا في صدور العباد, وذلك في آخر الزمان, كما وردت النصوص بذلك في أمارات الساعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولما جاءت مسألة القرآن؛ ومِن الإيمان به؛ الإيمان بأنَّ القرآن كلام الله, غير مخلوق, منه بدأ وإليه يعود: نازع بعضُهم في كونه منه بدأ وإليه يعود, وطلبوا تفسير ذلك؛ فقلت: أما هذا القول: فهو المأثور, الثابت عن السلف؛ مثل: ما نقله عمرو بن دينار قال: أدركتُ الناسَ منذ سبعين سنة؛ يقولون: الله الخالق, وما سواه مخلوق؛ إلاَّ القرآن[1] فإِنَّهُ كلام الله غير مخلوق, منه بدأ وإليه يعود.

وقد جمع غيرُ واحِد ما في ذلك من الآثار عن النبيِّ ﷺ والصحابة والتابعين؛ كالحافظ أبي الفضل بن ناصر ، والحافظ أبي عبد الله المقدسي.

وأما معناه؛ فإنَّ قولهم: منه بدأ؛ أي هو المتكلِّم به ، وهو الذي أنزلَهُ مِن لدنه ، ليس هو كما تقول الجهمية: إنه خُلِق في الهوى[2] أو غيره ، أو بدأ من عند غيره.

وأما إليه يعود: فإِنَّهُ يُسْرَى به في آخر الزمان ، من المصاحف والصدور ، فلا يَبقى في الصدور منه كلمة ، ولا في المصاحف منه حرف.

وأبو بكرٍ النَّجَّاد: أحمد بن سليمان في «الردِّ على مَن يقول القرآن مخلوق» (تحقيق: رضا الله محمد إدريس ، ط: مكتبة الصحابة الإسلامية بالكويت).
وابن قدامة المقدسي في «حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة» (تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع ، ط: الرشد).

[1] () وكذا سائر صفات الله ﷻ.

[2] () كذا في «الفتاوى» ، والمراد: «الهواء» كما في مواضع مِن «الفتاوى»؛ منها: (12/358).

ووافق على ذلك غالبُ الحاضرين ، وسكت المنازعون .....[1] »أهـ

- **تنبيه مهمٌّ:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «قال الأئمة كلام الله من الله ، ليس ببائنٍ عنه ، .. وأن قول السلف: منه بدأ لم يريدوا به أنه فارق ذاته وحَل في غيره ، فإن كلام المخلوق بل وسائر صفاته لا تفارقه وتنتقل إلى غيره ، فكيف يجوز أن يفارق ذاتَ الله كلامُه أو غيره من صفاته؛ بل قالوا: منه بدأ؛ أي: هو المتكلم به؛ ردًّا على المعتزلة والجهمية وغيرهم الذين قالوا: بدأ من المخلوق الذي خُلِقَ فيه ، وقولهم[2]: إليه يعود؛ أي: يسري عليه فلا يبقى في المصاحف منه حرفٌ ، ولا في الصدور منه آية»[3].

وقال في موضعٍ آخر:

«... فإنَّه منه بدَأَ لا كما يقوله الصابئة ومَن وافقهم مِن الجهمية أنَّه ابتدأ مِن نَفْسِ النبيِّ ، أو مِن العقلِ الفعال ، أو مِن الهواء؛ بل هو تنزيل من حكيم حميد ، وأنَّه إليه يعود إذا أُسْرِيَ به مِن المصاحفِ والصدور[4]»أهـ

وقال الشيخ عبد الله بن يوسف الجُدَيع حفظه الله: «ويجب أن يُعْلَم أنه ليس معنى قولهم: (منه خرج) أنَّ صفة الكلام فارَقَتْهُ تعالى ، وحلَّتْ في غيره ، وأنَّ ما تكلَّمَ به نُسِبَ إلى غيره ، وصار وصفًا لذلك الغير ـ كما قد وَسْوَسَ به بعض أهل البدع ـ؛ فإنَّ هذا المعنى لا يُعْقَلُ في حقِّ الإنسانِ المخلوق الضعيف ، إذا تكلم بكلام تزول عنه صفة الكلام بذلك وتُفارقه إلى غيره ، فإنَّ مَن كان كذَلك لم يُمكنه الكلام إلا مرةً واحدةً ، فإذا تكلَّمَ هذه المرة فارَقَته صفته؛ لأنَّ الكلام خرج منه وفارَقَهُ ، وبمفارقتهِ زالتْ عنه الصِّفة ، ولَحِقَتْ غيره.

هذا كلامٌ لا يقوله مَن يدري ما يقول؛ فإنََّ مَن وُصِفَ بالكلام على هذا المعنى موصوفٌ بالعجزِ عنه ، وهو غير مُتَصَوَّرٌ في حقِّ الناطق المخلوق على ضعفه ، فكَيف تَصَوَّرَهُ هؤلاء الضُّلال في حقِّ الله الذي ليس كمثله شيءٌ ، فإنَّهُ تعالى وصفَ نفسَهُ بأنه

---

[1] ()«مجموع الفتاوى» (3/174).
وانظر منه أيضًا: (12/40).

[2] () يعني: السلف.

[3] () «دقائق التفسير» (2/188) ، و«مجموع الفتاوى» (12/274).

[4] () «الفتاوى» (12/358).

متكلِّمٌ بكلامٍ مُتَعَلِّقٌ بمشيئته وقدرته ، يُسْمِعه مَن شاء مِن خلقه ، متى شاء ، وأَنَّ كلماته تعالى لا تنفد ، ومَن كان هذا وصفه لم تُفَارِقه صفته بِتَكَلُّمِه مرةً أو مرات ، وكلّ ما تكلَّمَ به منسوبٌ إليه لا إلى غيره.

قال الإمام الحافظ أبو الوليد الطيالسي: (القرآن كلام الله ليس ببائِنٍ مِن الله).

وقال شيخ الإسلام[1]: (وإنَّ قول السلف: (منه بدا) لم يُريدوا به أنه فارَق ذاته ، وحَلَّ في غيره؛ فإنَّ كلام المخلوق؛ بل وسائر صفاته لا تُفارقه وتنتقل إلى غيره ، فكيف يجوز أنْ يفارق ذاتَ الله كلامُه أو غيره مِن صفاته).

قلتُ[2]: قال الله تعالى: [illegible]

فصلٌ

في القرآن الذي هو كلام الله

فإذا تقرَّر هذا الأصل؛ فاعلم أن القرآن الذي هو كلام الله [illegible]

---

1 () يعني: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.
2 () الكلام للشيخ الجديع حفظه الله.
3 ()«العقيدة السلفية في كلام ربِّ البرية» للشيخ الجُدَيع (ص/177).

[1] () «مجموع الفتاوى» (3/144).

[illegible]

---

[1] () **حديث ضعيف جدًّا ، وله بديل في «الصحيحين»:**

رواه الطبراني في «الأوسط» (7574) من حديث ابن مسعودٍ ، وفي إسناده «نهشل بن سعيد» قال الهيثمي في «المجمع» (7/163): «وهو متروك».

والمشهور في هذا عن ابن مسعود: ما رواه الترمذي (2910) من رواية الضحاك بن عثمان ، عن أيوب بن موسى ، قال: سمعتُ محمد بن كعب القُرَظيَّ قال: سمعتُ عبدَ الله بن مسعودٍ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: « [illegible]

[2] ()«مجموع الفتاوى» (3/401ـ 402).

وحكى القرطبيُّ في «تفسيره» (1/23) كلامَ أبي بكرٍ وعُمَرَ ، وغيرهما في شأن الإعراب؛ فراجعه.

[3] ()«الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصرية» والتي قام على نشرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالاشتراك مع وزارة الأوقاف ودار الإفتاء المصرية (5/1606 رقم 707).

البابُ الثَّاني

في

بعْضِ اللَّوازِمِ الواجبَةِ تجَاه كلامِ الله سبحانه وتعالى

تمهيد

سبق في الباب الأولِ بيان مذهب أهل الحقِّ في القرآن المقدَّس ، وأنَّهُ كلامُ الله تعالى غير مخلوقٍ ، وسبق ذِكْر أدلتِهِم في ذلك من القرآن والسنة وإجماع السلف والخلف.
وبناءً على ذلك تَمَيَّزَ القرآن المقدَّس عن كلام البشر بخصائص ومميِّزَاتٍ لا يشاركه فيها غيره؛ نظرًا للاختلاف والتبايُنِ بين المتكلِّمِ بالقرآن سبحانه وتعالى ، وبين سائر المتكلِّمين من البشر.
فكما أنَّ ذاتَ الله سبحانه لا تُشْبِه ذات أحدٍ من خَلْقِه فكذلك كلامه عز وجلَّ لا يُشْبه كلام أحدٍ من خَلْقِهِ؛ إذِ الكلام في الصفاتِ فرعٌ عن الكلامِ في الذَّاتِ ، وصفات الله تعالى مُتَعَلِّقةٌ بذاته سبحانه وتعالى ، ولها أحكام الذَّات.
فدلَّ هذا وغيره على التبايُن والاختلاف بين كلام الله تعالى ، وبين كلام البشر ، سواءٌ في خصائصه ، أو في توابعه وما يلزم نحوِمِّ في رقبة الإنسان.
ويُؤَكِّد هذه الحقيقة:

قاعدة

القول في الصفات كالقول في الذّات

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «القول في الصفات كالقول في الذات؛ فإن الله ليس كمثله شيءٌ ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فإذا كان له ذات حقيقة لا تُمَاثِلُ الذوات؛ فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تُمَاثِل سائر الصفات.
فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما رضى الله عنهما: الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عن الكيفية بدعة؛ لأنه سؤالٌ عما لا يعلمه البشر ، ولا يمكنهم الإجابة عنه.

وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته ، قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف ، وهو فرعٌ له ، وتابعٌ له ، فكيف تطالبنى بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله وأنتَ لا تعلم كيفية ذاته ، وإذا كنتَ تُقِرُّ بأنَّ له حقيقةً ثابتةً في نفس الأمر مستوجبةً لصفات الكمال لا يُمَاثلها شيءٌ فسَمْعُه وبصَرُه وكلامُه ونزولُه واستواؤه ثابتٌ في نفس الأمر ، وهو متصفٌ بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سَمْعُ المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم»[1].

- ويلزم من هذا:

استواء الذات مع الصفات الإلهية في إثبات الوجود ونفي الكيفية.

- ويلزم من ذلك أيضًا:

استواء الإثم والعقاب فيمَنْ سَبَّ الذات أو الصفات ، أو استهزأ بهما ، أو بأحدهما؛ لأنَّ سبَّ الصفة سَبٌّ للموصوف ، كما أنَّ سبَّ الموصوف سبٌّ لذاته وصفاته وأفعاله.

قاعدة أخرى

وهي أَنَّ صفاتُ الله تعالى متعلِّقةٌ بذاته الكريمة لا تُبَاين الذَّات ولا تَنْفَكّ عنها

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «لفظ الذات في لغتهم لم يكن كلفظ الذات في اصطلاح المتأخرين ، بل يُرَادُ به ما يُضاف إلى الله ، كما قال خُبَيْبٌ :

---

[1] () «مجموع الفتاوى» (3/25-26).
وانظر منه أيضًا: (4/6-7) (6/171-175).

[1] () يعني: الجهمية.

[1] («مجموع الفتاوى» (3/334 ـ 337).
وانظر منه أيضًا: (6/98-101).

فصل
في معنى ما مضى تقريره

ومن معاني ما مضى تقريره في الباب السابق ، والتمهيد والمقدمات السابقة في هذا الباب ما يلي:

أولاً: أنَّ القرآن الذي في مصاحف المسلمين: كلامُ الله عز وجل غير مخلوق ، اللفظ والمعنى في ذلك سواءٌ.

فهو كلامُ الله بنظمه وحروفه ومعانيه.

ليس كلام الله الحروف دون المعاني ، ولا المعاني دون الحروف ، وإنما هو كلامه الله بحروفه ومعانيه ، تكلَّم الله به على الحقيقة.

وسبق عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قوله:

((ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله ، منزلٌ غير مخلوق ، منه بدأ ، وإليه يعود ، وأن الله تعالى تكلَّم به حقيقةً ، وأنَّ هذا القرآن الذي أنزله على محمد

---

1 () «مجموع الفتاوى» (3/144).

2 ()«مجموع الفتاوى» (3/401ـ 402).

[1] انظر: ((الفقه الأكبر)) (ص/301) ، و((الروض الأزهر)) (ص/66 ـ 109).

[2] في أثناء فصل: ((صفات الله تعالى متعلِّقةٌ بذاته الكريمة لا تُبَاين الذَّات ولا تَنْفَكّ عنها)).

[3] () ((مجموع الفتاوى)) (25/3-26).
وانظر منه أيضًا: (6/4-7) (6/171-175).

فصل
في لوازم ذلك

فإذا تقرَّرتْ هذه المسائل الأربعة السابقة ، وهي:
أولاً: أنَّ القرآن الذي في مصاحف المسلمين: كلامُ الله عز وجل غير مخلوق ، اللفظ والمعنى في ذلك سواءٌ.
ثانيًا: كلامُ الله عز وجل صفةٌ من صفات ذاته سبحانه وتعالى.
ثالثًا: صفات ذاته سبحانه وتعالى متعلِّقةٌ بذاته.
رابعًا: إجراء أحكام الذات على الصفات والعكس؛ مِنْ حيثُ النفي والإثبات والتنزيه والتقديس.
فإذا تقرَّرتْ هذه الأربع ، فيلزم من ذلك لوازم ضرورية لابد من الإتيان بها تجاه القرآن المقدَّس ، والخلل في هذه اللوازم الآتي بعضها يدلُّ على الخلل في تقرير هذه القواعد الأربع السالف بيانها ، وهذا دالٌّ ضرورةً على سوءِ المعتَقَدِ والمعْتَقِدِ ، وفسادِ إسلامه.
وقد سبق تكفير علماء الملة ، وأمناء الشريعة لمن قال بخلق القرآن ، وهم الحجة في هذه الأمور ، ولا عبرة بمخالفهم من فِرَقِ الضلال؛ كالمعتزلة والأشاعرة ، ومن لَفَّ لَفَّهُم من الفِرَقِ الشاذَّة عن الصراط القويم.
وقد ذكرتُ هنا بعض اللوازم الواجبة تجاه القرآن المقدَّس ، ولم أستطرد في حصر ذلك؛ فمِنْ ذلك:

اللازم الأول

في تنزيه كلام الله الخالق عن مشابهة كلام المخلوقين

وبيان أنَّ مَن شَبَّه كلام خالق البشر بكلام أحدٍ من البشرِ ، فقد كفر؛ عياذًا بالله مِن ذلك

وذلك أنَّ القرآن كلام الله [illegible] ليس بمخلوقٍ، منه بدأ وإليه يعود [illegible]

وكلامُه [illegible] صفةٌ [illegible] صفاته [illegible] قائمة بذاته [illegible] الصفات؛ مثل: السمع والبصر [illegible] والرزق [illegible] حقيقة [illegible] المولى [illegible] إلا [illegible]

[illegible] نؤمنُ [illegible] وجل [illegible]

[illegible] نؤْمنُ [illegible] تفتيشٍ [illegible] طلبٍ [illegible]

[illegible] [1] [illegible]: [illegible]

[illegible] [طه: 5] [illegible] استوى؟ قال: «الاستواء غير [illegible]

[illegible] » [2].

---

[1] () شيخ الإمام مالك بن أنس رحمهما الله ، وهو الملقب بـ «ربيعة الرأي».

[2] () رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (665).

وذَكره ابن القيم رحمه الله تعالى في «اجتماع الجيوش» (1/70) ، وقال في «الصواعق المرسلة» (4/1304): ورَوَى الخلال بإسنادٍ كلهم ثقات عن سفيان بن عيينة قال سُئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله: [illegible]

[illegible] معلومٌ [illegible] ؟ [illegible]

[illegible]

[illegible] ».

[illegible] (5/40) [illegible]

(139) [illegible] ».

[illegible]

[1] () «شرح قصيدة ابن القيم» لابن عيسى (2/15).
[2] () يعني: ما رُوِيَ عن أم سلمة ، وقول ربيعة ومالكٍ.
[3] ()«ذم التأويل» لابن قدامة (رقم/43-47).

[illegible]

[illegible] [1].

[illegible]: «[illegible]

[illegible] [2].

[illegible]: «[illegible]

[illegible].

[illegible]: «[illegible]

---

[1] («فتاوى» ابن تيمية (3/25) ، و«التحفة المدنية في العقيدة السلفية» لحمد بن ناصر (ص/48-49).

[2] («الفتاوى» (5/41-42) ، وانظر منه: (5/365).

[1] ()«ذم التأويل» لابن قدامة (رقم/40).
[2] () في «الجامع» (662).
[3] () وقد رواه البخاري (1410) ، ومسلم (1014).
[4] () وقع في المطبوع من «الجامع» للترمذي: «تَثْبُتُ» ـ كذا؛ فلْيُصْلَحْ.

[illegible]

---

[5] () يعني: الجهمية قاتلهم الله.

[1] () وهو الإمام ابن راهويه رحمه الله تعالى.

[2] () يعني :تَغَيَّظَ.

[3] () يعني: انكشفَ عنه ما وجده في نفسه من الهم والغيظ عقب سؤال السائل.

[4] ()«مختصر العلو» (ص/141).

[5] () وهو مشهور عن الإمام مالكٍ ، رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (664) ، وغيره.

[6] () «مختصر العلو» (ص/141 ـ 142).

[illegible]

[1] () «العقيدة السلفية» للشيخ عبد الله بن يوسف الجديع حفظه الله (ص/58).

[2] () يعني: أحاديث الصفات ونحوها.

[3] ()«التاريخ الكبير» لابن أبي خيثمة (رقم 2736 – بتحقيقي ، ط: الفاروق).

[4] () «التاريخ» لابن أبي خيثمة (رقم/3283 ، 4688) ، و«السنة» للخلال (313) ، و«الصفات» للدارقطني (67) ، و«الشريعة» للآجُرِّي (ص/314) ، و«عقيدة السلف» للصابوني (1/120- ط: المنيرية) ، و«مختصر العلو» (ص/142).

[5] () «السنة» لعبد الله بن أحمد (495).

[6] () «الصفات« للدارقطني (ص/41) ، و«اعتقاد أهل السنة« لأبي القاسم اللالكائي (3/431).
وانظر: «الاعتقاد« للبيهقي (ص/118).

[7] ()«الصفات» للدارقطني (ص/42).

«[illegible]»[1]

وقال الإمام الشافعيُّ رحمه الله:

«القول في السُّنة التي أنا عليها ، ورأيتُ عليها الذين رأيتهم؛ مثل: سفيان ومالك وغيرهم: الإقرار بشهادة أن لا إله إلاّ الله ، وأنَّ محمدًا رسول الله ، وأنَّ الله على عرشه في سمائه ، يقرب من خلقه كيف شاء ، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء»[2].

فأَثْبَتَ الإمام الشافعيُّ حقيقة الصفات ونفي العِلْم بكيفيتها ، وقال رحمه الله: «لا يُقال للأصيل لِمَ ولا كيف؟»[3] ، قال: «إنما يُقال للفرع: لِمَ؟ فإذا صَحَّ قياسه على الأصل صَحَّ ، وقامت به الحجة»[4].

وقال الإمام أحمد رحمه الله:

«ومِن السنة اللازمة التي مَن ترك منها خصلةً لم يقبلها ويُؤْمِنُ بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقَدَر خيره وشرّه ، والتصديق بالأحاديث فيه ، والإيمان بها ، لا يقال لِمَ؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كِفُيَ ذلك وأُحْكِمَ له ، فعليه الإيمان به والتسليم؛ مثل حديث «الصادق المصدوق»[5] ، ومثل ما كان مثله في القَدَر ، ومثل أحاديث «الرؤية» كلها؛ وإنْ نَأَتْ عن الأسماع واستوحش منها المستمع؛ وإنما عليه الإيمان بها ، وأن لا يردّ منها حرفًا واحدًا ، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات»[6].

---

1 ()«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» لأبي القاسم اللالكائي (740).
وسيأتي نحو هذا المعنى قريبًا عن أبي عبيد.

2 () «مختصر العلو» (ص/176).

3 () السابق.

4 () «الآداب» لابن أبي حاتم (ص/233) بواسطة حاشية «مختصر العلو» للشيخ الألباني رحمه الله.

5 () إشارةً إلى حديث ابن مسعودٍ : «[illegible]»

6 ()«أصول السنة» للإمام أحمد ، رواية عبدوس العطار (ص/37 – فما بعد ، ط: دار السلام) ، و«اعتقاد أهل السنة» لأبي القاسم اللالكائي (1/156).

وقال المروذيُّ رحمه الله:

«سألتُ أبا عبد الله[1] عن الأحاديث التي تردَّها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء وقصة العرش؟ فصحَّحَها أبو عبد الله ، وقال: قد تلقَّتْها العلماء بالقبول ، نسلِّم الأخبار كما جاءت.

قال: فقلتُ له: إنّ رجلاً اعترضَ في بعض هذه الأخبار كما جاءت؛ فقال: يُجْفَا[2] ، وقال: ما اعتراضه في هذا الموضع ، يُسَلِّم الأخبار كما جاءتْ»[3].

وقال العباسُ بن محمدٍ الدُّوريُّ رحمه الله:

«سمعتُ أبا عبيد القاسم بن سلام - وذكر الباب الذي يُرْوَى في الرؤية ، والكرسي ، وموضع القَدَمين ، وضحك ربنا من قنوط عباده ، وقُرْب غيره ، وأين كان ربنا قبل أن يخلق السماء ، وأنَّ جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك

---

1 () يعني: الإمام أحمد رحمه الله.
2 () يعني :يُهْجَر.
3 ()«السنة» للخلال (283).
4 () «الصفات» للدارقطني (ص/57).
5() «سير أعلام النبلاء» للذهبي (8/162).
6 () «صحيح ابن حبان» (2/504 رقم 725).

يَجُزْ [1] بآلاتٍ

[2].

[3]

[4]

[5]

---

[1] () كذا وقع في المطبوع من كتاب ابن حبان ، ولعل المراد: «فلم» بالفاء ، أو تكون الواو زائدة في هذا الموضع ، والمعنى ظاهرٌ مِن السياق على كلِّ حالٍ؛ والله أعلم.

[2] () السابق (3/200-201 رقم 920).

[3] ()«الكلام على الصفات» للخطيب(ص/20فما بعد ـ ط: مكتبة ابن تيمية).

[4] () السابق (ص/24).

[5] يعني: الصفات الإلهية الواردة في الكتاب والسنة.

[illegible]

---

[1] يعني: كيفية الصفات.

[2] «الحجة في بيان المحجة» لأبي القاسم الأصبهاني (1/174) وعباراتُه هذه قريبةُ الشبه من العبارات السابقة هنا في كلام الخطيب الذي قبله.

[3] يعني تفويض عِلْم كيفية الصفات لله [illegible].

[4] السابق (2/435)

[5] «عقيدة السلف» للإمام أبي عثمان الصابوني (ص/43)

[6] يعني: البحث في كيفيتها.

[7] () يعني عِلْم كيفيتها.

[8] () المراد بالمعنى هنا أيضًا: البحث في الكيفية.

[9] «ذم التأويل» لابن قدامة (ص/11).

[10] يعني: من غير بحثٍ في كيفية الصفات.

[11] () يعني: ترك الخوض في البحث عن كيفية الصفات.

[illegible]

[illegible]»[1]

[illegible]

[1] «فضل عِلْم السلف على الخَلَف» لابن رجبٍ رحمه الله (ص/29).

اللَّلازِمُ الثَّاني

تَنْزِيهُ كلمات القرآن وحروفه ومعانيه عن النَّقْدِ

ظهر مما سبق: أَنَّ صفات الله عز وجل لا تُشْبه صفات أحدٍ من خَلْقه ، كما أنَّ ذاته لا تُشْبه ذوات المخلوقين؛ إِذِ الكلام في الصفات مبنيٌّ على الكلام في الذَّاتِ.
فإذا تقرَّرَ ذلك؛ فاعْلَمْ أَنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى ، ليس بمخلوقٍ ، تَكَلَّمَ اللهُ عز وجل به حقيقةً ، وكلامه سبحانه لا يُدَانيه كلامٌ ، ولا تحوي فضائله ألفاظُ وعباراتُ بشرٍ ، ولا يبلُغ قيمته كلامُ بشرٍ ، فهو مُعْجِزٌ مِن كل نواحيه.
ولذا تحدَّى اللهُ عز وجل فُصَحاءَ العرب ، وأئمةَ اللغةِ أَنْ يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك.
كما قال سبحانه وتعالى: {وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة:23-24].
وقال عز وجل: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس:38].
وقال جلَّ شأنه: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ} [هود:13].
يتحدَّاهم سبحانه وتعالى بهذا كله فيعجزوا ، وهم مَنْ هم في الفصاحة والبلاغة ونبوغ اللغة.
يقول القاضي أبو بكرٍ الباقلاني: ((والذي يدل على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن: أنه تحدَّاهم إليه حتى طال التَّحدِّي ، وجَعَلَهُ دلالةً على صِدْقه ونُبُوَّتِه ، وضَمَّنَ أحكامَهُ استباحةَ دمائِهم وأموالِهِمْ وَسَبْى ذُريتهم ، فلو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعلوا ، وتوصَّلُوا إلى تخليص أنفسِهم وأهليهم وأموالهم من حُكْمِهِ بأَمْرٍ قريبٍ هو عادتهم في لسانهم ومألوف

مِن خطابهم ، وكان ذلك يغنيهم عن تَكَلُّفِ القتال ، وإكثار المـراء والجدال ، وعن الجلاء عن الأوطان ، وعن تسليم الأهـل والذريـة للسبي.
فلمَّا لم تحصُل هناك معارضة منهم عُلِمَ أنهم عاجزون عنها.
يُبَيِّنُ ذلك: أنَّ العدوَ يقصد لدفع قول عدوِّه بكل ما قَدَر عليـه مـن المكايد ، لا سيما مـع اسـتعظامه مـا بَـدَهَهُ[1] بـالْمَجِيء مِـنْ خَلْـعِ آلهته ، وتسفيه رأيه في ديانته ، وتضليل آبـائه ، والتَّغريـب عليـه بما جاء به ، وإظهار أمر يُوجِبُ الانقياد لطاعته ، والتصـرُّف علـى حُكْمِ إرادته ، والعدول عن إِلْفِـهِ وعـادتهِ ، والانخِـراط فـي سـلك الأتبـاع ، بعـد أنْ كـان متبوعًـا ، والتشـييع بعـد أنْ كـان مُشَـيَّعًا ، وتحكيـم الغيـر فـي مـاله ، وتسـليطه إيَّـاه علـى جملـةِ أحـواله ، والدخول تحت تكاليف شاقة ، وعبادات متعبة بقـوله ، وقـد علـم أن بعض هذه الأحوال مما يدعو إلـى سـلب النفـوس دونـه ، هـذا والحمية حميتهم ، والهمم الكبيرة هممهم ، وقد بذلوا له السـيف فأخطروا بنفوسهم وأموالهم!
فكيف يجوز أن لا يتوصلوا إلى الرَّدِّ عليه ، وإلـى تكـذيبه ، بـأهون سعيهم ، ومألوف أمرهم ، وما يمكن تناوله من غير أن يعرق فيـه جبين ، أو ينقطع دونه وتين ، أو يشتمل به خاطر ، وهـو لسـانهم الذي يتخاطبون به ، مع بلوغهم في الفصاحة النهاية الـتي ليـس وراءها متطلع ، والرتبة التي ليس فوقها منزع ومعلوم أنهم لـو عارضوه بما تحداهم إليه لكـان فيـه تـوهين أمـره وتكـذيب قـوله وتفريق جمعه وتشتيت أسبابه ، وكان مِـنْ صـدق بـه يرجـع علـى أعقابه ، ويعود في مذهب أصحابه.
فلمَّا لم يفعلوا شيئًا مِنْ ذلك ، مع طول المدة ، ووقوع الفسحة ، وكان أمره يتزايـد حـالًا فحـالًا ، ويعلـو شـيئًا فشـيئًا ، وهـم علـى العجز عن القدح في آيتهِ ، والطعن بما يُؤَثِّر في دلالته؛ عُلِمَ مِمَّـا بَيَّنَّا أنَّهم كانوا لَا يقدرون على معارضته ، ولا على توهين حُجَّته.
وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم قومٌ خصمون[2] ، وقال: {وتنـذر به قومًا لدا} [مريم: 97] ، وقـال: {أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَـانُ أَنَّـا

---

[1] () في ((مختار الصحاح)) (مادة: بده)): (بَدَهَهُ أمرٌ: فجأه ، وبابه قطع ، وبَدَهَهُ بأمرٍ إذا استقْبَلَهُ به ، وبَادَهَهُ فاجَأَهُ ، والاسمُ البَدَاهةُ والبَديهةُ))أهـ
[2] () إشارةً إلى قوله تعالى : {وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف: 58].

خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ}[3] [سورة يس: 77].

وعُلِمَ أيضًا ما كانوا يقولونه مِنْ وجوهِ اعتراضهم على القرآن ، مما حكى الله عز وجل عنهم مِنْ قولهم: {لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين} [الأنفال: 31] ، وقولهم: {ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين} [القصص: 36] ، وقالوا: {يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون} [الْحِجْر: 6] ، وقالوا: {أفتأتون السحر وأنتم تبصرون} [الأنبياء: 3] ، وقالوا: {أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون} [الصافات: 36] ، وقال: {وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا} [الفرقان: 4 ـ 5] ، {وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا} [الفرقان: 8] ، وقوله: {الذين جعلوا القرآن عضين} [الحِجْر: 91].. إلى آيات كثيرة في نحو هذا ، تدل على أنهم كانوا مُتَحَيِّرِينَ في أمرهم ، مُتَعَجِّبِيْنَ مِنْ عجزهم ، يفزعون إلى نحو هذه الأمور من تعليل وتعذير ومدافعةٍ بما وقع التحدِّي إليه ووجد الحث عليه.

وقد عُلِمَ منهم أنَّهم ناصبوه الحرب ، وجاهدوه ونابذوه ، وقطعوا الأرحام ، وأخطروا بأنفسهم ، وطالبوه بالآيات والإتيان بالملائكة وغير ذلك من المعجزات ، يريدون تعجيزه لِيَظْهَرُوا عليه بوجهٍ مِنَ الوجوه.

فكيف يجوز أنْ يقدروا على معارضتهِ القريبة السهلة عليهم ، وذلك يدحض حجته ، ويُفسد دلالته ، ويُبطل أمره ، فيعدلون عن ذلك إلى سائر ما صاروا إليه من الأمور التي ليس عليها مزيد في المنابذة والمعاداة ، ويتركون الأمر الخفيف؟!

هذا مما يمتنع وقوعه في العادات ، ولا يجوز اتفاقه من العقلاء.

وإلى هذا الموضع قد استقصى أهل العلم الكلام ، وأكثروا في هذا المعنى واحكموه ، ويمكن أن يقال: إنهم لو كانوا قادرين على معارضته والإتيان بمثل ما أتى به لم يجز أن يتفق منهم ترك المعارضة ، وهم على ما هم عليه من الذرابة والسلاقة والمعرفة بوجوه الفصاحة ، وهو يستطيل عليهم بأنهم عاجزون عن مباراته ، وأنهم يضعفون عن مجاراته ، ويكرر فيما جاء به

---

[3] () ذكر الباقلاني رحمه الله بعض الآية بمعناه ، وبعضها بلفظه ، فذكرت لفظها كله كما في المصحف.

ذِكْر عجزهم عن مثل ما يأتي به ، ويُقَرِّعهم ويُؤَنِّبهم عليه ، ويدرك آماله فيهم ، وينجح ما سعى له في تركهم المعارضة ، وهو يذكر فيما يتلوه تعظيم شأنه وتفخيم أمره حتى يتلو قوله تعالى: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا} [الإسراء: 88] ، وقوله: {ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون} [النحل: 2] ، وقوله: {ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم} [الحِجْر: 87] ، وقوله: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [الحِجْر: 9] ، وقوله: {وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون} [الزخرف: 44] ، وقوله: {هدى للمتقين} [البقرة: 2] ، وقوله: {الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله} [الزمر: 23].. إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن تعظيم شأن القرآن ، فمنها ما يتكرر في السورة في مواضع ، ومنها ما ينفرد فيها ، وذلك مما يدعوهم إلى المبادرة ، ويحضهم على المعارضة ، وإن لم يكن متحدِّيًا إليه.

أَلَا تَرَى أنهم قد ينافر شعراؤهم بعضُهم بعضًا؟ ولهم في ذلك مواقف معروفة وأخبار مشهورة وآثار منقولة مذكورة ، وكانوا يتنافسون على الفصاحة والخطابة والذلاقة ويتبجحون بذلك ويتفاخرون بينهم؟

فلن يجوز والحال هذه أَنْ يتغافلوا عن معارضته لو كانوا قادرين عليها؟! تحداهم أو لم يتحدهم إليها؟!

ولو كان هذا لقبيل مما يقدر عليه البشر لوجب في ذلك أمر آخر ، وهو أنه لو كان مقدورا للعباد لكان قد اتفق إلى وقت مبعثه من هذا القبيل ما كان يمكنهم أن يعارضوه به ، وكانوا لا يفتقرون إلى تكَلُّف وضعه ، وتعمُّل نظمه في الحال.

فلمَّا لم نرهم احتجوا عليه بكلام سابق ، وخطبة متقدمة ، ورسالة سالفة ، ونظم بديع ، ولا عارضوه به فقالوا: هذا أفصح مما جئتَ به وأغرب منه أو هو مثله؛ عُلِمَ أَنَّه لم يكن إلى ذلك سبيل ، وأنه لم يوجد له نظير ، ولو كان وُجِدَ له مِثْلٌ لكان يُنْقَلُ إلينا ولعرفناه ، كما نُقِلَ إلينا أشعار أهل الجاهلية وكلام الفصحاء والحكماء من العرب ، وأُدِّيَ إلينا كلام الكهان وأهل

الرجز والسجع والقصيد وغير ذلك مـن أنـواع بلاغـاتهم وصـنوف فصاحاتهم))[1]أهـ

فأصبح بدهيًا بعد ذلك:

أَنْ تُقَدَّسَ وتُنَزَّه كلماته وحروفه ومعانيه عن النَّقْدِ ، وأَنْ لا يُتَسَلَّق إليه بخيالٍ ذهنيٍّ؛ لأنَّهُ يعلو ولا يُعْلَى عليه ، ولا تحوزه كلماتُ بشرٍ ، ولا يرتفع عليه كلام إنسانٍ ، كما لا ترتفع ذات أحدٍ على ذات قائله المتكلِّم به ، وهو المولى

---

1 () ((إعجاز القرآن)) للباقلاني (ص/20 – فما بعد).
2 () وانظر: المصدر السابق (ص/4).
3 ((الفروع)) لابن مفلحٍ رحمه الله (6/161).

[1] () الغَمْصُ: الاحتقار أو الاستصغار والعَيْب ، تقول: غمص فلانٌ فلانًا؛ إذا احتقره أو عابَه أو استصْغَرَهُ.

[2] () يعني: أنَّه ليس مُعْجِزًا؛ بل يُقْدَرُ على الإتْيان بمثْلِه ، ولا شكَّ في كفر مَن قال ذلك ولو هازِلاً

[3] () المصدر السابق.

[4] () ((الشفا)) للقاضي عياض (2/250).

[illegible]

1 () يعني: الشاهدين.

2 () أوْرَدَهُ البيهقي في ((السنن الكبرى)) (10/43).

3 () وهو القابِسي.

4 () يعني مَنْ لعَنَ الصبي.

5 () السابق (2/263-265).

[illegible]

[1] () يعني: إتيانه بقولٍ مُحْدَثٍ لم يُسْبَقْ إليه ، وليس المراد البدعة الاصطلاحية؛ لأنَّ كلامَ الهالك المذكور هنا كفرٌ لا شكَّ فيه ، وهذا ظاهرٌ مِن سياق الكلام هنا.
وقد ذكرتُ كلامَ القرطبي ونقله عـن ابـن الأنبـاري بـأتمِّ ممَّـا هنـا ، فـي أثنـاء فصل: ((الاستهزاء بالقرآن يعني: هدمَ الإِسْلام)).

[illegible]

[1] () ((تفسير القرطبي)) (1/80 -85).

ولنظر إلى الأديب الأستاذ قطبرحمه ، في مقدمة ((كثير)): ((...)) الفني البشري ... الإيضاح ...))[1].

ودلالي وغيرها والاختلاف للشعراء.

للمؤمنين.

{وَلَقَدْ أَنزَلْنَا

[

{

(

)

(

)

---

1 () ((في ظلال القرآن)) (4/2038).

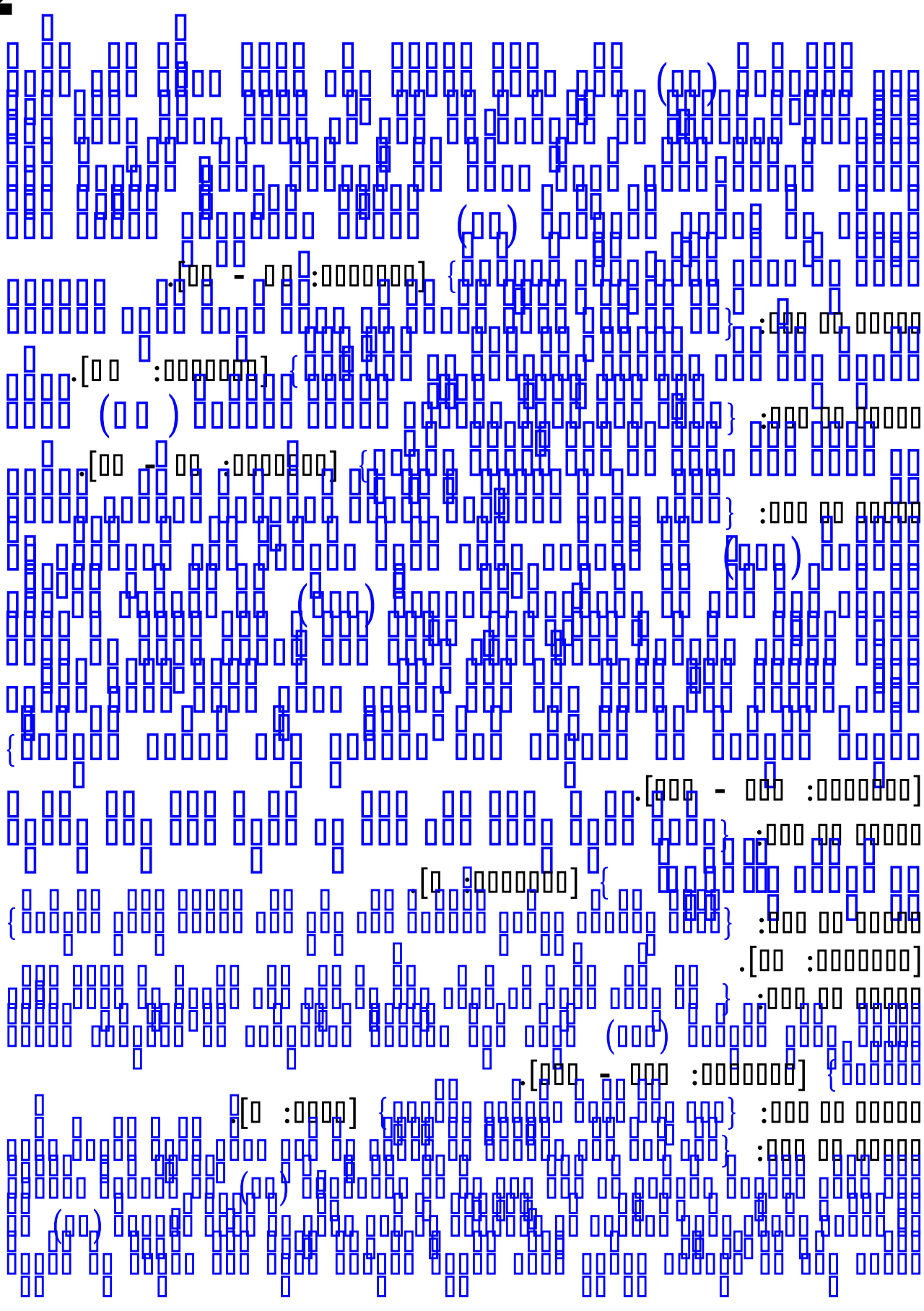

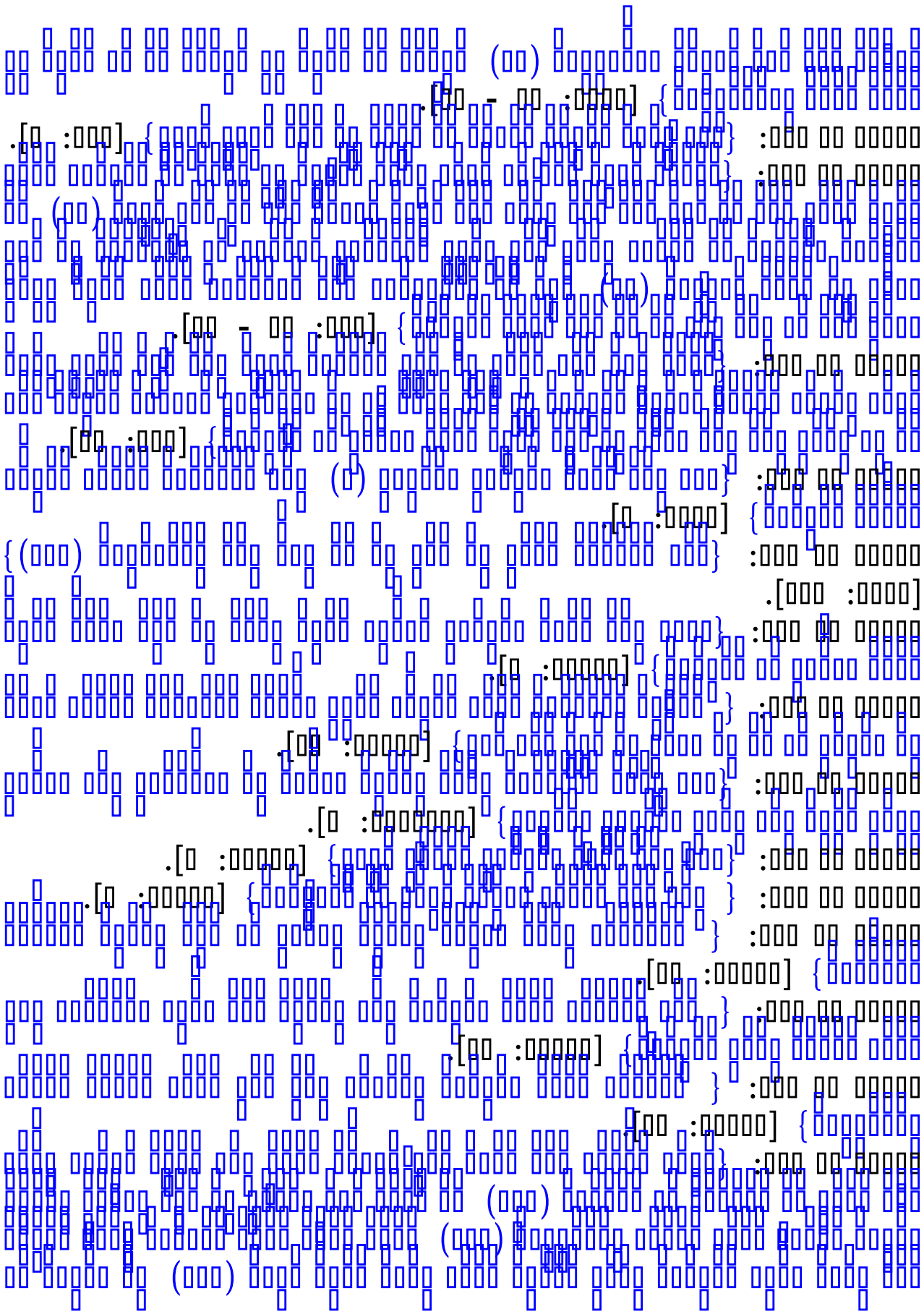

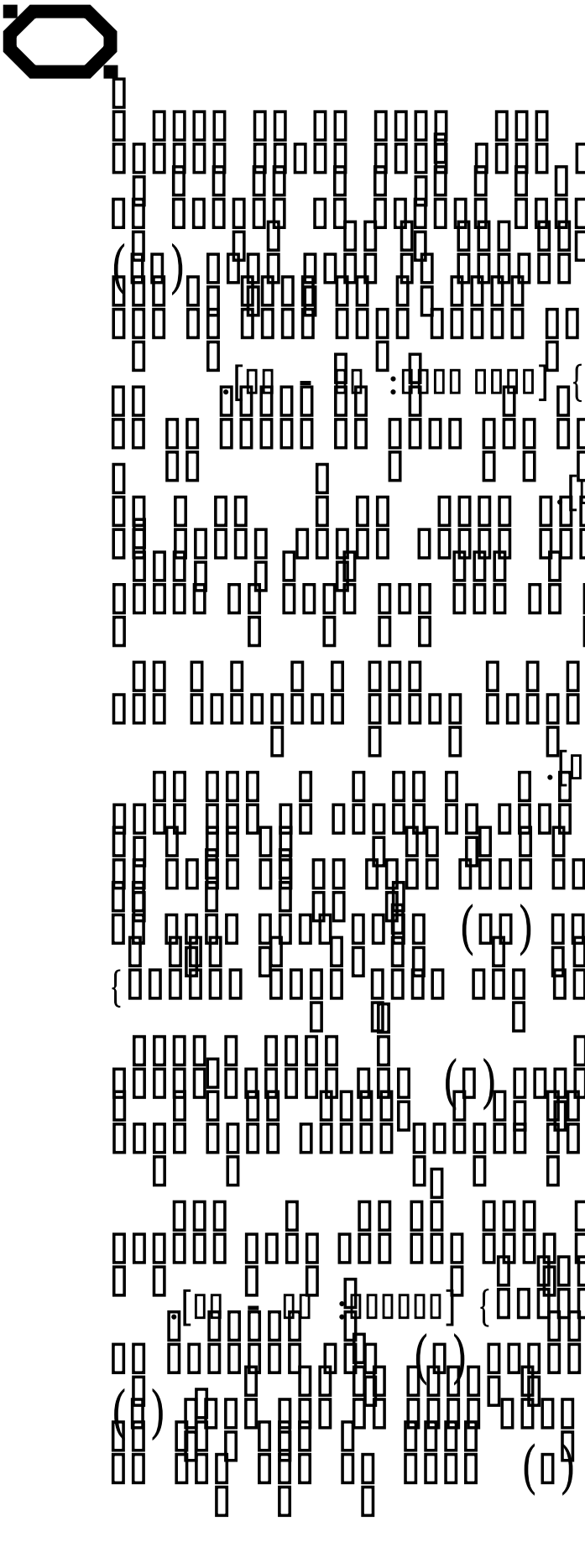

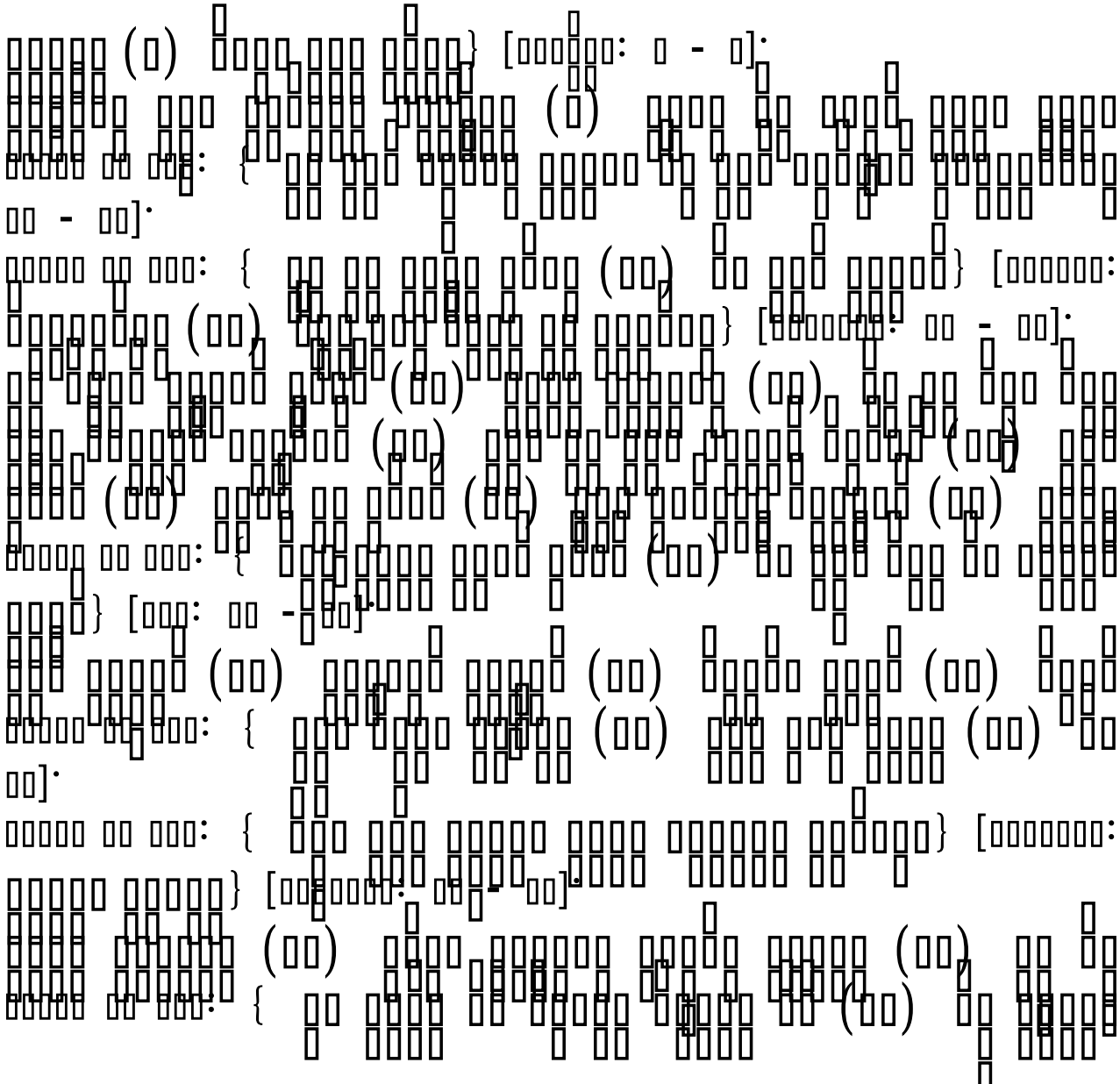

اللَّازِمُ الثَّالثُ
العملُ بأَحْكَامِ القرآنِ ، والأخذُ به في كافَّة الأمورِ[1]

وهذا مِنْ مُسلَّمات الدين ، وقواعد الإسلام التي لا يصح الإسلام بدونها؛ لأنَّ عماد الإسلام على الطاعة لله سبحانه وتعالى ، وإفراده بالطاعة المطلقة في كلِّ أحكامه وأوامره ، وهذا يستلزم ضرورةً: العمل بالقرآن المقدَّس وأحكامه؛ لأنَّه المنبع الذي تؤخذ منه الشريعة ، ثم هو كلامُ الخبير بالنَّفْس ، العالِم بطرائِقِها وأحوالها ، الْمُطَّلِع على خَبَايَاها ، وأغْوَارِها ، فكلامُه لها أحسنُ الكلام ، وحُكْمُه لها أفيدُ الحكم وأصدقُه ، وبيانُه لها أتم البيان وأشفاه.

وأصلُ مادةِ الْحُكْم: المنع كما ذكر ابن فارس[2] ، وغيره ، وقال الراغبُ الأصفهاني في ((مفردات القرآن)): ((حَكَمَ : أصله منع منعًا لإصلاح ، ومنه سُمِّيَتِ اللجام : حَكَمَة الدابة ، فقيل : حَكَمْتَه وحَكَمْتُ الدابة : منعتُها بالْحَكَمَة ، وأحْكَمْتُها جَعَلْتُ لها حَكَمَةً ، وكذلكَ حكَمْتُ السفيهَ وأحكمتُه))[3].

و((العربُ تقول : حكَّمْتُ فلانًا إذا أطلقتُ يدَهُ فيما يشاء))[4].

فتحصَّل من ذلك معنيين:

المعنى الأول: أنه المنع لإصلاحٍ ، فالمنع لإفسادٍ يُخالفُ ذلك.

والمعنى الثاني: حَكَّمْتُ فلانًا يعني: أطلقتُ يدَهُ فيما يشاء.

فالحكمُ منعٌ مِنْ مُطْلَقِ اليدِ لإصلاحٍ.

ولا يُشكل على ذلك: الأمر؛ لأنَّ الأمر بالشيء نهيٌ ومنعٌ عن ضدِّه على الراجح في أصول الفقه.

وهذا المعنى المذكور للْحُكْم ينطبق تمامًا على حُكْمِ الله عز وجل؛ إِذْ هو حُكْمٌ مِن مطلق اليد لإصلاحٍ ، فهو المتفرِّد بالحكم المطلق في الكون كله ، وهو أيضًا المتفرِّد بصلاح أحكامه

---

1 () وقد عُنِيَ علماء المسلمين ببيان هذا الباب؛ لاتِّصاله بأصل الإسلام ، ومبدأ الدين ، وكلامهم في ذلك مشهور للكافةِ ، ولذا سأقتصر هنا على بعض ما يفي بالغرض ، والله الموفِّق.

2 () انظر: ((معجم مقاييس اللغة)) لابن فارس (2/91).

3 () ((مفردات ألفاظ القرآن)) للراغب (248 ـ مادة: حكم).

4 () ((تهذيب اللغة)) للأزهري (4/114).

وحُسْنِها وجمالها مِنْ كل وجهٍ ، فأحكامه عدلٌ كلها وكمالٌ كلهـا ، لا تشوبها شائبة جَوْرٍ أو نقصٍ أبدًا.
وقـد تفـرَّدَ سـبحانه وتعـالى بـالحُكْمِ المطلـق ، وأرسـلَ الرسـلَ مُبَشِّرِين ومُنْذِرين لعباده ، وأمرَهم بتبليـغ شـريعته إلـى النـاس ، وأسندَ لولاة الأمر بعد الرسل توصيل أحكامه إلى عباده.
فالحكم في الحقيقة لله سبحانه وتعالى ، وأما الحكـام والعلمـاء وغيرهم من ولاة الأمور فوظيفتهم التبليغ ، وتزول عنهم الصفة الشرعية إذا حادوا عن الصِّراط ، أو تنكَّبوا طريق الشريعة.
وأصلُ القضية موصولٌ بقضية الألوهية ، وتَفَرُّدِ المولى عز وجـل بـالحكم دون سـواه ، فهـو الخـالق الـرازق المسـتحق بـأن يُفْـرَدَ بالرُّبوبية ، وكذا هو الحاكم المتفرِّد بالألوهية.
وأهل الإيمان بعد ذلك هم أهـل الاسـتجابة والطاعـة ، وأمـا أهـل الكفر والنفاق فهم أصحاب التمرُّد والعصيان.
ولذا جاءتِ النصوص الصريحة فـي وصـف المـؤمنين بالاسـتجابة لأحكام الله عز وجل ، كمـا بيَّنَـتْ صـفة المنـافقين فـي تمرُّدهـم وتأبِّيهم لحكم الله السميع البصير.
يقول سبحانه وتعـالى: {لَقَدْ أَنْزَلْنَـا آيَـاتٍ مُبَيِّنَـاتٍ وَاللَّـهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (46) وَيَقُولُـونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَـوَلَّى فَرِيـقٌ مِنْهُـمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَـا أُولَئِـكَ بِـالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُـوا إِلَـى اللَّـهِ وَرَسُـولِهِ لِيَحْكُـمَ بَيْنَهُـمْ إِذَا فَرِيـقٌ مِنْهُـمْ مُعْرِضُـونَ (48) وَإِنْ يَكُـنْ لَهُـمُ الْحَـقُّ يَـأْتُوا إِلَيْـهِ مُـذْعِنِينَ (49) أَفِـي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ أَمِ ارْتَـابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُـمَ الظَّالِمُونَ (50) إِنَّمَا كَـانَ قَـوْلَ الْمُـؤْمِنِينَ إِذَا دُعُـوا إِلَى اللَّـهِ وَرَسُـولِهِ لِيَحْكُـمَ بَيْنَهُـمْ أَنْ يَقُولُـوا سَـمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51) وَمَـنْ يُطِـعِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِـكَ هُـمُ الْفَـائِزُونَ} [النور: 46 - 52].
فعَرَضَ سبحانه وتعـالى حـال المـؤمنين وغيـر المـؤمنين وبَيَّـن صفة كلٍّ منهما في هذه الآيات ، وقد ورد نحو هذه المقابَلَـة بيـن

الفريقين في سورة النساء أيضًا في قوله عـز وجـل: {يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُـوا اللَّـهَ وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ وَأُولِـي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَـى اللَّـهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآَخِـرِ ذَلِـكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّـذِينَ يَزْعُمُـونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِـهِ وَيُرِيـدُ الشَّـيْطَانُ أَنْ يُضِـلَّهُمْ ضَـلَالًا بَعِيـدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَـالَوْا إِلَـى مَـا أَنْـزَلَ اللَّـهُ وَإِلَـى الرَّسُـولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُـدُّونَ عَنْـكَ صُـدُودًا (61) فَكَيْـفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِـيبَةٌ بِمَـا قَـدَّمَتْ أَيْـدِيهِمْ ثُـمَّ جَـاءُوكَ يَحْلِفُـونَ بِـاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَـا إِلَّا إِحْسَـانًا وَتَوْفِيقًـا (62) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُـمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (63) وَمَـا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِـإِذْنِ اللَّـهِ وَلَـوْ أَنَّهُـمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْـتَغْفَرُوا اللَّـهَ وَاسْـتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (64) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُـونَ حَتَّـى يُحَكِّمُـوكَ فِيمَـا شَـجَرَ بَيْنَهُـمْ ثُـمَّ لَا يَجِـدُوا فِـي أَنْفُسِـهِمْ حَرَجًـا مِمَّـا قَضَـيْتَ وَيُسَـلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 59 - 65].

وقد ذَكَرَ أهلُ العِلْم أَنَّ الأمر بالرَّدِّ إلى الله عز وجل المذكور فـي صدر هذه الآيات: يعني الرَّدَّ إلـى كتـابه ، وأمـا الـردّ إلـى رسـوله صلى الله عليه وسلم؛ فقال العلماء: هو الردُّ إلى السُّنَّة.

يقول ابن كثير رحمه الله: ((وهذا أمرٌ من الله عز وجـل بـأَنَّ كـل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعـه أَنْ يُـرَدَّ التَّنـازع في ذلك إلى الكتاب والسنة؛ كما قال تعالى: {وما اختلفتـم فيـه من شيء فحكمه إلى الله} [الشورى: 10] ، فما حَكَمَ به الكتابُ والسنة وشَهِدَا له بالصحةِ؛ فهو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ، ولهـذا قـال تعـالى: {إن كنتـم تؤمنـون بـالله واليـوم الآخـر}

[النساء: 59]؛ أي: رُدُّوا الخصومات والجهالات إلى كتابِ الله وسُنَّةِ رسوله ، فتَحَاكموا إليهما فيما شَجَرَ بينكم {إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} [النساء: 59] ، فدَلَّ على أنَّ مَنْ لم يتحاكم في مَحِلِّ النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلكَ فليس مؤمنًا بالله ولا باليوم الآخر ، وقوله: {ذلك خير} [النساء: 59]؛ أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله والرجوع إليهما في فصل النزاع {خير وأحسن تأويلا} [النساء: 59]؛ أي: وأحسن عاقبةً ومآلًا كما قاله السدي وغير واحد ، وقال مجاهد: وأحسن جزاءً ، وهو قريبٌ))[1].

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في تفسير آيات سورة النساء المذكورة: ((إن للعقل البشري وزنه وقيمته بوصفه أداة من أدوات المعرفة والهداية في الإنسان . . هذا حق . . ولكن هذا العقل البشري هو عقل الأفراد والجماعات في بيئة من البيئات , متأثرا بشتى المؤثرات . . ليس هناك ما يسمى ((العقل البشري)) كمدلول مطلق! إنما هناك عقلي وعقلك , وعقل فلان وعلان , وعقول هذه المجموعة من البشر , في مكان ما وفي زمان ما . . وهذه كلها واقعة تحت مؤثرات شتى ; تميل بها من هنا وتميل بها من هناك . .

ولا بد من ميزان ثابت , ترجع إليه هذه العقول الكثيرة ; فتعرف عنده مدى الخطأ والصواب في أحكامها وتصوراتها . ومدى الشطط والغلو , أو التقصير والقصور في هذه الأحكام والتصورات . وقيمة العقل البشري هنا هو أنه الأداة المهيَّأة للإنسان , ليعرف بها وزن أحكامه في هذا الميزان . . الميزان الثابت , الذي لا يميل مع الهوى , ولا يتأثر بشتى المؤثرات . .

ولا عبرة بما يضعه البشر أنفسهم من موازين . . فقد يكون الخلل في هذه الموازين ذاتها . فتختل جميع القيم . . ما لم يرجع الناس إلى ذلك الميزان الثابت القويم .

والله يضع هذا الميزان للبشر , للأمانة والعدل , ولسائر القيم , وسائر الأحكام , وسائر أوجه النشاط , في كل حقل من حقول الحياة:

{يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ; وأطيعوا الرسول , وأولي الأمر . . منكم . . فإن تنازعتم في شيء , فردوه إلى الله والرسول .

---

[1] () ((تفسير ابن كثير)) (1/445).

إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا} [النساء: 59]..
وفي هذا النص القصير يُبَيِّنُ الله سبحانه شرط الإيمان وَحَدّ الإسلام . في الوقت الذي يبين فيه قاعدة النظام الأساسي في الجماعة المسلمة ; وقاعدة الحكم , ومصدر السلطان . . وكلها تبدأ وتنتهي عند التلقي من الله وحده ; والرجوع إليه فيما لم ينص عليه نصا , من جزيئات الحياة التي تعرض في حياة الناس على مدى الأجيال ; مما تختلف فيه العقول والآراء والأفهام . . ليكون هنالك الميزان الثابت , الذي ترجع إليه العقول والآراء والأفهام !
إن ((الحاكمية)) لله وحده في حياة البشر - ما جل منها وما دق , وما كبر منها وما صغر - والله قد سن شريعة أودعها قرآنه . وأرسل بها رسولًا يُبَيِّنها للناس . ولا ينطق عن الهوى . فسُنَّتُه صلى الله عليه وسلم مِن تَمَّ شريعةٌ مِنْ شريعة الله .
والله واجب الطاعة . ومن خصائص ألوهيته أن يسن الشريعة . فشريعته واجبة التنفيذ . وعلى الذين آمنوا أن يطيعوا الله - ابتداءً - وأن يطيعوا الرسول - بما له من هذه الصفة . صفة الرسالة من الله ، فطاعته إذن من طاعة الله , الذي أرسله بهذه الشريعة ، وببيانها للناس في سنته . . وسنته وقضاؤه - على هذا - جزءٌ من الشريعة واجب النفاذ . . والإيمان يتعلق - وجودًا وعدمًا - بهذه الطاعة وهذا التنفيذ - بنص القرآن:
{إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} [النساء: 59]. .
فأما أولو الأمر ; فالنص يُعَيِّنُ من هم .
{وأولي الأمر . . منكم} [النساء: 59]..
أي: من المؤمنين . . الذين يتحقَّق فيهم شرط الإيمان وحَدّ الإسلام المبين في الآية . . من طاعة الله وطاعة الرسول ; وإفراد الله سبحانه بالحاكمية وحق التشريع للناس ابتداء؛ والتلقي منه وحده - فيما نصَّ عليه - والرجوع إليه أيضًا فيما تختلف فيه العقول والأفهام والآراء , مما لم يَرِدْ فيه نصٌّ ; لتطبيق المبادئ العامة في النصوص عليه .
والنص يجعل طاعة الله أصلا ; وطاعة رسوله أصلا كذلك - بما أنه مرسل منه - ويجعل طاعة أولي الأمر . . منكم . . تبعًا لطاعة الله وطاعة رسوله . فلا يكرر لفظ الطاعة عند ذِكْرهم , كما كررها عند ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ليقرر أن طاعتهم

مستمدة من طاعة الله وطاعة رسوله - بعد أن قرر أنهم {منكم} بقيد الإيمان وشرطه . .
وطاعة أولي الأمر . . منكم . . بعد هذه التقريرات كلها , في حدود المعروف المشروع من الله , والذي لم يرد نص بحرمته ; ولا يكون من المحرم عندما يرد إلى مبادئ شريعته, عند الاختلاف فيه . . والسنة تقرر حدود هذه الطاعة , على وجه الجزم واليقين:
في الصحيحين من حديث الأعمش: ((إنما الطاعة في المعروف)).
وفيهما من حديث يحيى القطان: ((السمع والطاعة على المرء المسلم . فيما أحب أو كره . ما لم يؤمر بمعصية . فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)).
وأخرج مسلم من حديث أم الحصين: ((ولو استعمل عليكم عبد . يقودكم بكتاب الله . اسمعوا له وأطيعوا)). .
بهذا يجعل الإسلام كل فرد أمينًا على شريعة الله وسنة رسوله . أمينًا على إيمانه ودينه . أمينًا على نفسه وعقله . أمينًا على مصيره في الدنيا والآخرة . . ولا يجعله بهيمة في القطيع ; تزجر من هنا أو من هنا فتسمع وتطيع ! فالمنهج واضح , وحدود الطاعة واضحة . والشريعة التي تطاع والسنة التي تتبع واحدة لا تتعدد , ولا تتفرق , ولا يتوه فيها الفرد بين الظنون !
ذلك فيما وَرَدَ فيه نصٌّ صريح . فأما الذي لم يرد فيه نص . وأما الذي يعرض من المشكلات والأقضية , على مدى الزمان وتطور الحاجات واختلاف البيئات - ولا يكون فيه نص قاطع , أو لا يكون فيه نص على الإطلاق . . مما تختلف في تقديره العقول والآراء والأفهام - فإنه لم يُتْرَك كذلك تيهًا . ولم يُتْرَك بلا ميزان . ولم يُترك بلا منهج للتشريع فيه والتفريع . . ووضع هذا النص القصير , منهج الاجتهاد كله , وحدَّدَه بحدودِه ، وأقام ((الأصل)) الذي يحكم منهج الاجتهاد أيضًا .
{فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول} [النساء: 59]. .
رُدُّوه إلى النصوص التي تنطبق عليه ضمنًا . فإنْ لم توجد النصوص التي تنطبق على هذا النحو ؛ فردوه إلى المبادئ الكلية العامة في منهج الله وشريعته . . وهذه ليست عائمة ، ولا فوضى , ولا هي من المجهلات التي تتيه فيها العقول كما يحاول

بعض المخادعين أن يقول . وهناك - في هذا الدين - مبادئ أساسية واضحة كل الوضوح , تغطي كل جوانب الحياة الأساسية , وتضع لها سياجا خرقه لا يخفى على الضمير المسلم المضبوط بميزان هذا الدين .
{إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} [النساء: 59]. .
تلك الطاعة لله والطاعة للرسول , ولأولي الأمر المؤمنين القائمين على شريعة الله وسنة الرسول . ورَدّ ما يتنازع فيه إلى الله والرسول . . هذه وتلك شرط الإيمان بالله واليوم الآخر . كما أنها مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر . .
فلا يوجد الإيمان ابتداء وهذا الشرط مفقود . . ولا يوجد الإيمان , ثم يتخلف عنه أثره الأكيد .
وبعد أن يضع النص المسألة في هذا الوضع الشرطي , يقدمها مرة أخرى في صورة ((العظة)) والترغيب والتحبيب ; على نحو ما صنع في الأمر بالأمانة والعدل ثم التحبيب فيها والترغيب:
{ذلك خير وأحسن تأويلا} [النساء: 59]. .
ذلك خير لكم وأحسن مآلا . خير في الدنيا وخير في الآخرة . وأحسن مآلا في الدنيا وأحسن مآلا في الآخرة كذلك . . فليست المسألة أن اتباع هذا المنهج يؤدي إلى رضاء الله وثواب الآخرة - وهو أمر هائل, عظيم - ولكنه كذلك يحقق خير الدنيا وحُسْن مآل الفرد والجماعة في هذه الحياة القريبة.
أن هذا المنهج معناه: أن يستمتع ((الإنسان)) بمزايا منهج يضعه له الله . . الله الصانع الحكيم العليم البصير الخبير . . منهج بريء من جهل الإنسان , وهوى الإنسان , وضعف الإنسان . وشهوة الإنسان . . منهج لا محاباة فيه لفردٍ , ولا لطبقة , ولا لشعب ، ولا لجنس , ولا لجيل من البشر على جيل . . لأن الله رب الجميع , ولا تخالجه - سبحانه - وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا - شهوة المحاباة لفرد , أو طبقة , أو شعب , أو جنس ، أو جيل .
ومنهج من مزاياه , أن صانعه هو صانع هذا الإنسان . . الذي يعلم حقيقة فطرته , والحاجات الحقيقية لهذه الفطرة , كما يعلم منحنيات نفسه ودروبها ; ووسائل خطابها وإصلاحها ، فلا يخبط - سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا - في تيه التجارب بحثا عن منهج يوافق . ولا يكلف البشر ثمن هذه التجارب القاسية , حين يخبطون هم في التيه بلا دليل ! وحسبهم أن يجربوا في ميدان الإبداع المادي ما يشاءون . فهو مجال فسيح جد فسيح للعقل

البشـري . وحسـبهم كـذلك أن يحـاول هـذا العقـل تطـبيق ذلـك المنهـج ; ويـدرك مواضـع القيـاس والاجتهـاد فيمـا تتنـازع فيـه العقول .
ومنهج من مزاياه أن صانعه هو صانع هذا الكون , الذي يعيش فيه الإنسان . فهو يضمن للإنسان منهجا تتلاءم قواعده مع نــواميس الكون ; فلا يروح يعارك هذه النواميس . بل يروح يتعـرف إليهـا , ويصادقها , وينتفع بها . . والمنهج يهديه في هذا كله ويحميه .
ومنهج مـن مزايـاه أنـه - فـي الـوقت الـذي يهـدي فيـه الإنسـان ويحميه - يكرمه ويحترمه ويجعل لعقله مكانًا للعمل في المنهج . . مكان الاجتهاد في فهم النصوص الواردة . ثم الاجتهـاد فــي رَد ما لم يَرِدْ فيه نصٌّ إلى النصوص أو إلى المبادئ العامــة للــدين . . ذلك إلى المجال الأصيل , الذي يحكمـه العقـل البشـري , ويعلـن فيه سيادته الكاملة: ميدان البحث العلمي فـي الكـون ; والإبـداع المادي فيه .
{ذلك خير وأحسن تأويلًا} [النساء: 59]. . وصدق الله العظيم .
وحين ينتهي السياق من تقرير هـذه القاعـدة الكليـة فـي شـرط الإيمان وحد الإسلام , وفي النظـام الأساسـي للأمـة المسـلمة , وفي منهج تشريعها وأصوله . . يلتفت إلى الذين ينحرفــون عــن هذه القاعدة ; ثم يزعمون - بعد ذلك - أنهم مؤمنون.
{ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنـزل إليـك ومـا أنـزل من قبلـك . يريـدون أن يتحـاكموا إلـى الطـاغوت وقـد أمـروا أن يكفـروا بـه ويريـد الشـيطان أن يضـلهم ضـلالا بعيـدًا} [النسـاء: 60] . .
ألم تَرَ إلى هذا العجب العجاب . . قــوم . . يزعمــون . . الإيمــان . ثم يهدمون هذا الزعم في آنٍ ?! قـوم يزعمـون أنهـم آمنـوا بمـا أنزل إليك وما أنزل من قبلك. ثم لا يتحاكمون إلى ما أنـزل إليـك وما أنزل من قبلك ? إنما يريدون أن يتحـاكموا إلـى شـيء آخـر ، وإلى منهج آخر , وإلى حكم آخر . . يريدون أن يتحـاكموا إلــى . . الطاغوت . . الذي لا يستمد مما أنزل إليك وما أنـزل مـن قبلـك . ولا ضابط له ولا ميزان , مما أنزل إليـك ومـا أنـزل مـن قبلـك . . ومن ثَمَّ فهو . . طاغوت . . طاغوت بادِّعـائه خاصـية مـن خـواص الألوهية . وطاغوت بأنه لا يقف عند ميزانٍ مضبوطٍ أيضـًا ! وهـم لا يفعلون هذا عن جهلٍ , ولا عن ظنٍّ . . إنما هـم يعلمـون يقينًـا ويعرفون تمامًا , أنَّ هـذا الطـاغوت محـرمٌ التحـاكم إليـه: {وقـد

أمروا أن يكفروا به} [النساء: 60]. . فليس في الأمر جهالة ولا ظن . بل هو العمد والقصد . ومن ثَمَّ لا يستقيم ذلك الزعم . زعم أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ! إنما هو الشيطان الذي يريد بهم الضلال الذي لا يرجى منه مآب . .
{ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدًا} [النساء: 60] . .
فهذه هي العلة الكامنة وراء إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت . وهذا هو الدافع الذي يدفعهم إلى الخروج من حد الإيمان وشرطه بإرادتهم التحاكم إلى الطاغوت ! هذا هو الدافع يكشفه لهم . لعلهم يتنبهون فيرجعوا . ويكشفه للجماعة المسلمة , لتعرف من يحرك هؤلاء ويقف وراءهم كذلك .
ويمضي السياق في وصف حالهم إذا ما دعوا إلى ما أنزل الله إلى الرسول وما أنزل من قبله . . ذلك الذي يزعمون أنهم آمنوا به:
{وإذا قيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول , رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا} [النساء: 61].
يا سبحان الله ! إنَّ النفاق يَأْبَى إلا أن يكشفَ نفسه ! ويأبى إلا أنْ يُنَاقِضَ بديهيات المنطق الفطري . . وإلا ما كان نفاقًا . . .
إنَّ المقتضى الفطري البديهي للإيمان , أن يتحاكم الإنسان إلى ما آمن به , وإلى من آمن به . فإذا زعم أنه آمن بالله وما أنزل , وبالرسول وما أنزل إليه . ثم دُعِيَ إلى هذا الذي آمَن به , ليتحاكم إلى أمره وشرعه ومنهجه ; كانت التَّلْبِيه الكاملة هي البديهية الفطرية . فأمَّا حين يصُدّ ويَأْبَى فهو يخالف البديهية الفطرية . ويكشف عن النفاق. ويُنْبِئ عن كذبِ الزَّعْم الذي زَعَمَهُ مِنَ الإيمان !
وإلى هذه البديهية الفطرية يحاكم الله سبحانه أولئك الذين يزعمون الإيمان بالله ورسوله . ثم لا يتحاكمون إلى منهج الله ورسوله . بل يصدون عن ذلك المنهج حين يُدْعَوْنَ إليه صدودًا !
ثم يَعْرض مظهرًا من مظاهر النفاق في سلوكهم ; حين يقعون في ورطةٍ أو كارثة بسبب عدم تلبيتهم للدعوة إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ; أو بسبب ميلهم إلى التحاكم إلى الطاغوت . ومعاذيرهم عند ذلك . وهي معاذير النفاق:
{فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله: إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا} [النساء: 62]. .

وهذه المصيبة قد تصيبهم بسبب انكشاف أمرهم في وسط الجماعة المسلمة - يومذاك - حيث يصبحون معرضين للنبذ والمقاطعة والازدراء في الوسط المسلم . فما يطيق المجتمع المسلم أنْ يرى مِنْ بينه ناسًا يزعمون أنهم آمنوا بالله وما أُنْزل , وبالرسول وما أُنْزلَ إليه ، ثم يميلون إلى التحاكم لغير شريعة الله ; أو يصدون حين يدعون إلى التحاكم إليها . . إنما يقبل مثل هذا في مجتمع لا إسلام له ولا إيمان . وكل ما له من الإيمان زعم كزعم هؤلاء ; وكل ما له من الإسلام دعوى وأسماء !

أو قد تصيبهم المصيبة من ظلم يقع بهم ; نتيجة التحاكم إلى غير نظام الله العادل ، ويعودون بالخيبة والندامة من الاحتكام إلى الطاغوت ; في قضية من قضاياهم .

أو قد تصيبهم المصيبة ابتلاء من الله لهم . لعلهم يتفكرون ويهتدون . .

وأيًّا ما كان سبب المصيبة ; فالنص القرآني , يسأل مستنكرا: فكيف يكون الحال حينئذ ! كيف يعودون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم:

{يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا} [النساء: 62]. . .

إنها حال مخزية . . حين يعودون شاعرين بما فعلوا . . غير قادرين على مواجهة الرسول صلى الله عليه وسلم بحقيقة دوافعهم . وفي الوقت ذاته يحلفون كاذبين: أنهم ما أرادوا بالتحاكم إلى الطاغوت - وقد يكون هذا هو عُرف الجاهلية - إلا رغبة في الإحسان والتوفيق ! وهي دائمًا دعوى كل من يحيدون عن الاحتكام إلى منهج الله وشريعته: أنهم يريدون اتِّقاء الإشكالات والمتاعب والمصاعب , التي تنشأ من الاحتكام إلى شريعة الله ! ويريدون التوفيق بين العناصر المختلفة والاتجاهات المختلفة والعقائد المختلفة . . إنها حجة الذين يزعمون الإيمان - وهم غير مؤمنين - وحجة المنافقين الملتوين . . هي هي دائمًا وفي كل حين !

والله سبحانه يكشف عنهم هذا الرداء المستعار . ويخبر رسوله صلى الله عليه وسلم, أنه يعلم حقيقة ما تنطوي عليه جوانحهم . ومع هذا يوجهه إلى أخذهم بالرفق , والنصح لهم بالكفِّ عن هذا الالتواء:

{أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم . فأعرض عنهم وعظهم , وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا} [النساء: 63]. .

أولئك الذين يخفون حقيقة نواياهم وبواعثهم ; ويحتجـون بهـذه الحجج , ويعتـذرون بهـذه المعـاذير . واللـه يعلـم خبايـا الضـمائر ومكنونات الصدور . . ولكن السياسة التي كانت مُتَّبَعَة - في ذلك الـوقت - مـع المنـافقين كـانت هـي الإغضـاء عنهـم , وأخـذهم بالرفق , واطراد الموعظة والتعليم . .
والتعبير العجيب:
{وقل لهم . . في أنفسهم . . قولا بليغًا} [النساء: 63] .
تعبير مصور . . كأنما القول يُودَع مباشرة في الأنفس , ويستقر مباشرة في القلوب .
وهو يرغِّبهم في العـودة والتوبـة والاسـتقامة والاطمئنـان إلـى كنَفِ الله وكنَفِ رسوله . . بعد كل ما بـدا منهـم مـن الميـل إلـى الاحتكام إلى الطاغوت ; ومن الصـدود عـن الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم حيـن يـدعون إلـى التحـاكم إلـى اللـه والرسـول . . فالتوبة بابها مفتـوح , والعـودة إلـى اللـه لـم يَفُـتْ أوانهـا بعـد ; واستغفارهم اللـه مـن الـذنب , واسـتغفار الرسـول لهـم , فيـه القبول ! ولكنه قبل هذا كله يُقَرِّر القاعـدة الأساسـية: وهـي أن الله قد أرسل رُسُلَه ليُطَاعوا - بإذنه - لا ليخالف عن أمرهـم . ولا ليكونوا مجرد وعاظ ! ومجرد مرشدين !
{وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله . ولو أنهـم إذ ظلمـوا أنفسهم جـاؤوك , فاسـتغفروا اللـه , واسـتغفر لهـم الرسـول , لوجدوا الله توابا رحيمًا} [النساء: 64] . .
وهذه حقيقـة لهـا وزنهـا . . إن الرسـول ليـس مجـرد ((واعـظ)) يُلقي كلمتـه ويمضـي . لتـذهب فـي الهـواء - بلا سـلطان - كمـا يقول المخادعون عن طبيعة الدين وطبيعة الرسل ; أو كما يفهم الذين لا يفهمون مدلول ((الدين)) .
إن الدين منهج حياة . منهج حياة واقعية . بتشكيلاتها وتنظيماتها , وأوضاعها , وقِيَمِها , وأخلاقها وآدابهـا . وعباداتهـا وشـعائرها كذلك .
وهـذا كلـه يقضـي أن يكـون للرسـالة سـلطان . سـلطان يحقـق المنهج , وتخضع له النفوس خضوع طاعة وتنفيذ . . والله أرسـل رسله ليطاعوا - بإذنه وفي حدود شرعه - في تحقيق منهج الدين . منهج الله الذي أراده لتصريف هذه الحياة . ومـا مـن رسـول إلا أرسله الله ، ليطاع , بإذن الله . فتكون طاعته طاعة للـه . . ولـم يرسـل الرسـل لمجـرد التَّـأثُّر الوجـداني ، والشـعائر التعبُّديـة . .

فهذا وَهْمٌ في فَهْم الدين ; لا يستقيم مع حِكْمة الله من إرسال الرسل . وهي إقامة منهج مُعَيَّن للحياة , في واقع الحياة . . وإلا فما أهون دنيا كل وظيفة الرسول فيها أنْ يقف واعظًا . لا يُعْنيه إلا أنْ يقول كلمتَه ويمضي . يستهتر بها المستهترون , ويبتذلها المبتذلون !!!))أهـ

ولذا قال سيد رحمه الله في مقدمة ((الظلال)): ((وانتهيت من فترة الحياة في ظلال القرآن إلى يقينٍ جازمٍ حاسمٍ... أنَّهُ لا صلاح لهذه الأرض ، ولا راحة لهذه البشرية ، ولا طمأنينة لهذا الإنسان ، ولا رفْعَة ، ولا بَرَكة ، ولا طهارة ، ولا تناسُق مع سُنَن الكون وفِطْرة الحياة إلا بالرجوع إلى الله ، والرجوع إلى الله - كما يتجَلَّى في ظلال القرآن- له صورة واحدة ، وطريق واحد... واحد لا سواه... إنَّهُ العودة بالحياةِ كلِّها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم . . إنه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها . والتحاكم إليه وحده في شؤونها . وإلا فهو الفساد في الأرض ، والشقاوة للناس ، والارتكاس في الحمأة ، والجاهلية التي تعبد الهوى من دون الله: {فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين} [القصص: 50]. .

إنَّ الاحتكام إلى منهج الله في كتابه ليس نافلةً ولا تطوعًا ولا موضعَ اختيار ، إنما هو الإيمان . . أو . . فلا إيمان . . {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم} [الأحزاب: 36]. ـ {ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولي المتقين} [الجاثية: 18 - 19]. .

والأمر إذن جدّ . . إنَّه أمر العقيدة من أساسها . . ثم هو أمر سعادة هذه البشرية أو شقائها . .

إن هذه البشرية - وهي مِنْ صُنْع الله - لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله ؛ ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده - سبحانه - وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلق ، وشفاء كل داء: {وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين} [الإسراء: 82]. . {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم} [الإسراء: 9]))أهـ

وبناءً عليه:

يلزمُ العمل بأحكام القرآن ، جملةً وتفصيلاً ، والثقة به ، دونَ بحثٍ عن سَنَدٍ له ، أو دليلٍ لما قاله أو أمَرَ به؛ إِذْ هو أصلُ الأحكام ، وهي فرعه ، وإنما يُقَدَّمُ الأصلُ على الفرع ، لا العكس.

ويلزمُ من ذلك أيضًا:

الحرص على حِفْظِه ، ومُدَارَسَتِهِ ، والتعبُّد به ، والدفاع عنه ، والغَيْرَة له إذا نال منه بعض الناس بوجهٍ من الوجوه؛ كالاستهزاء أو القدح ونحوهما.

ويلزم من ذلك أيضًا:

أَنْ تُتَّخذَ الإجراءات اللازمة لإِلْزَام الناس على الأخذ بالقرآنِ ، والانصياع لأحكامه ، والتسليم المطلق له ، وترك التقديم بين يديه ، على حَدِّ قول الإمام ابن المبارك رحمه الله تعالى: ((إذا نطقَ الكتابُ بشيءٍ وإِذا جاءت الآثارُ بشيءٍ جَسُرْنا[1] عليه))[2].

ومِنْ هنا تَعْلَم شناعة ما يقع فيه أكثر الناس -إلا من رحم الله- من التحاكم إلى غير كلامِ الله سبحانه وتعالى وتَرْكِ التحاكم إلى القرآن المقدَّس ، المحفوظ مِن التحريف والتبديل ، المُنَزَّه عن الزيغ والباطل.

وقد قال سبحانه وتعالى: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} [المائدة: 44] ، وفي آيةٍ ثانيةٍ: {هم الظالمون} [المائدة: 45] ، وفي آيةٍ ثالثةٍ: {هم الفاسقون} [المائدة: 47].

يصف ربُّنا سبحانه وتعالى مَن لم يحكم بما أنزل الله بهذه الصفات الثلاثة في سياقٍ واحدٍ مِنْ سورة المائدة ، مما يدلّ على عِظَم الجُرْم الذي يرتكبه المخالف لأحكام الله سبحانه وتعالى ، المتَّبع لغير ما أنزل الله ، المُعْرِض عن تحكيم كلام الله المنزَّه عن النَّقص والمتَّصفِ بالكمال المطلق.

وتَأَمَّلْ قولَ الله جلَّ جلاله: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: 213].

فالذين آمنوا هم أهل الهداية للصراط المستقيم ، المذعنين لأحكام الله وأوامره ، المتَّبعين لا المُبَدِّلِين.

وتأَمَّل قولَ الله سبحانه وتعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا

---

[1] () يعني: أَقْدَمْنا. والمراد: أننا نُقْدِم إذا نطقتْ نصوصُ الكتاب والسُّنَّة ، ونسكتُ إذا سكتتِ النصوص ، فنحن ندور مع النصوص ، سكوتًا وإِقْدامًا.

[2] () ((اعتقاد أهل السنة)) لأبي القاسم اللالكائي (3/431) ، و((العلو)) للذهبي (ص/150).
وانظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (5/51).

قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الأحقاف: 29 - 32].
أَفَيَعَجَزِ الناسُ عن محاكاة الجِنِّ في إيمانهم وإذْعَانهم؟ أم يعجزون عن الإيمان الذي فيه مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة؟!

اللازمُ الرابعُ
تَنْزِيهُ القرآنِ عنِ السَّبِّ والطَّعْنِ

تمهيد:

القرآنُ كلام الله

وإنما عَظُمَ سببُ القرآن؛ لكونه تابعًا لمسبِّبه، وقد ورد في تعظيم سببٍ ما لم يرد في تعظيم مسبَّبه: «إنما عَظُمَ كذا لكونه تابعًا لكذا»[4].

[4] وانظر: «الصارم المسلول» لابن تيمية رحمه الله (ص/333) ، و«شرح العقيدة الطحاوية» (ص/157)

فصلٌ

فيمَنْ سبَّ الله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:
«فإنْ كان مسلمًا وَجَبَ قَتْله بالإجماع؛ لأنه بذلك كافرٌ مرتـدٌّ ، وأسوأ مِن الكافر؛ فإنَّ الكـافر يُعظِّـم الـربَّ ويعتقـد أنَّ مـا هـو عليه مِن الدين الباطل ليس باستهزاء بالله ، ولا مسبة له.
ثم اختلف أصحابنا وغيرهـم فـي قبـول تـوبته؛ بمعنـى: أنـه هـل يُسْتَتَاب كالمرتدِّ ، ويسقط عنه القتل إذا أظْهَـرَ التوبـة مِـن ذلـك بعد رفعه إلى السلطان وثبوت الحَدّ عليه؟ على قولين:
أحدهما: أنه بمنزلة سابّ الرسول فيه الروايتان كـالروايتين فـي ساب الرسول ، هـذه طريقـة أبـي الخطـاب ، وأكـثر مَـن احتـذى حذوه من المتـأخرين ، وهـو الـذي يـدل عليـه كلام الإمـام أحمـد؛ حيث قال: «كل مَن ذَكَرَ شيئًا يُعَـرِّضُ بـذِكْرِ الـربّ تبـارك وتعـالى فعليه القتل مسلمًا كان أو كافرًا ، وهذا مـذهب أهـل المدينـة» ، فأطلق وجوب القتل عليه ، ولم يذكر اسـتتابته ، وذَكَـرَ أنَّـه قـولُ أهل المدينة ، ومَنْ وجبَ عليه القتلُ (يَسْقُط)[1] بالتوبـةِ ، وقـولُ أهل المدينة المشهور أنَّه لا يسقط القتل بتوبته ، ولو لم يُرِدْ هذا لم يخصه بأهل المدينة ، فإنَّ الناسَ مجمعـون علـى أنَّ مَـنْ سـبَّ الله تعالى مِن المسلمين يُقْتل ، وإنما اختلفوا ف ي تـوبته ، فلمـا أخَذَ بقولِ أهل المدينة في المسلم كما أخَذَ بقـولهم فـي الـذِّمِّي عُلِـمَ أنَّـه قَصَـدَ محـل الخلاف بيـن المـدنيين والكِـوفيين فـي المسألَتَيْن ، وعلى هذه الطريقة فظـاهر المـذهب أنّـه لا يسـقط القتل بإظهـار التوبـة بعـد القـدرة عليـه كمـا ذكرنـاه فـي سـاب الرسول.
وأما الرواية الثانية: فإنَّ عبدَ اللـه[2] قـال: سـئل أبـي عـن رجـلٍ قال: «يا ابن كذا وكذا أنتَ ومَن خلقك»؟ قال أبي: هذا مرتدٌّ عن الإسلام ، قلـت لأبـي: تُضْـرَبُ عنقـه؟ قـال: نعـم نضـرب عنقـه. فجعله من المرتدين.

---

1 () كذا في نشرة المكتبة العصرية من «الصارم المسلول» ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، وفي نشرة دار ابن حزم: «لم يسقط» بزيادة «لم» – كذا؛ وظاهر السياق يأباها؛ فالله أعلم.
2 () عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله.

والرواية الأولى قول الليث بن سعد ، وقول مالك ، وروى ابن القاسم عنه[1] قال: مَنْ سَبَّ الله تعالى مِن المسلمين قُتِلَ ولم يُسْتَتَب؛ إلا أَنْ يكون افترى على الله بارْتِدَادِه إلى دينٍ دانَ به وأَظْهَرَهُ فيُسْتَتَاب وإِنْ لم يظهره لم يُسْتَتَب ، وهذا قولُ ابنِ القاسم ومُطرِّف ، وعبد الملك ، وجماهير المالكية.

والثاني: أَنَّه يُسْتَتَاب ، وتُقْبَلُ توبته ، بمنزلة المرتد المحض ، وهذا قول القاضي أبي يعلى ، والشريف أبي جعفر ، وأبي علي بن البناء ، وابن عقيل ، مع قولهم: إِنَّ مَنْ سبَّ الرسول لا يُسْتَتَاب ، وهذا قول طائفة من المدنيين؛ منهم: محمد بن مسلمة ، والمخزومي ، وابن أبي حازم؛ قالوا: لا يُقْتَلُ المسلم بالسَّبِّ حتى يُسْتَتَاب ، وكذلك اليهودي والنصراني ، فإِنْ تابوا قُبِلَ منهم ، وإِنْ لم يتوبوا قُتِلُوا ، ولا بُدّ مِن الاستتابة ، وذلك كله كالرِّدَّة ، وهو الذي ذكره العراقيون من المالكية.

وكذلك ذكر أصحاب الشافعي

---

[1] () يعني: عن الإمام مالكٍ رحمه الله.

[2] () رواه البخاري (4974- 4975) من حديث أبي هريرة

[1] () وقد استطرد شيخ الإسلام هنا في بيان نكتة الفرق في العقوبة بين سب الله وسب الرسول؛ فراجعه.

[2] () كذا السياق ، ولعل المراد: «على الكفر» ، والمعنى ظاهرٌ على كلٍّ حالٍ؛ والله أعلم.

[1] () وهذا شاملٌ لمَنْ سبَّ بعض صفاته .

[1] ()«الصارم المسلول على شاتم الرسول » (/ – /):

[2] () المصدر السابق (ص/561 – ط: العصرية) (3/1041 – ط: دار ابن حزم).
وانظر منه أيضًا: (ص/512-525 ، ط: العصرية) (3/955-976 ، ط: دار ابن حزم).

فصلٌ

مَن سبَّ القرآن فقد سبَّ النبيّ ﷺ

وذلك أنَّ الله [illegible]

[illegible]

[1] وردت وصية النبيِّ [illegible]

[2] () بالاستهزاء أو غيره.

[3] ()«مجموع الفتاوى» (7/12).

[4] «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى رحمهما الله (1/13).

[5] () نَقَلَ ذلك عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه: «الصارم المسلول» ونَصَرَه ، وزادَهُ شرحًا وبيانًا مستفيضًا؛ فليراجع ذلك مطوّلاً عنده.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ
الآية[1] [النساء: 150].
أُنزِلَ آمَنَّا
أَحَدٍ [البقرة: 136][2].
كُلٌّ وَمَلَائِكَتِهِ
285].
الملجن
وأصبغ أحدًا
قُلْ؛
فاضْرِبْ
الخان
بقرطبة
«
والحَفَلَةِ
تَجْتِ[5]

() وتكملة الآية:
() وتمام الآية:
() يعني: مالكًا خازن النار؛ أعاذنا الله منها.
() وهو القاضي عياض.
() يعني: الأنبياء والملائكة.

[1] () «الشفا» للقاضي عياض (2/261 ـ 263).

[2] () إشارةً إلى قوله تعالى: [

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:

«إنَّ الأمورَ السَّمْعية التي يقال لها: إنَّ العقلَ عارضها؛ كإثبات عُلُو الله على خلقه واستوائه على عرشه وتَكَلُّمِهِ ورؤية العباد لِه في الآخرة وإثبات الصفات له: هي ما عُلِمَ بالاضطرار أنَّ الرسولَ [ ]

فصلٌ

مَنْ سَبَّ القرآن فقد سَبَّ جميع الأنبياء ، وأَنْكَرَ جميع الرسالات

---

1 ()«مجموع الفتاوى» (12/7-9).

2 ()«الصواعق المرسلة» (3/906- 907 ، ط: دار العاصمة بالرياض).

وقد مضى ذلك في أثناء الفصل السابق هنا ، وذلك أنَّ الرسالات جميعها قد جاءتْ متصادقة متوافقةً في الدعوة إلى الإسلام ، كما قال

[1] () رواه البخاري (3442 ، 3443) ، ومسلم (2365) من حديث أبي هريرة .

فصلٌ

الاستهزاء بالقرآن استهزاءٌ بالسُّنَّةِ

ذلك أنَّ أحدًا مِن علماء الحقّ لم يخالف في كون السُّنَّة قد فسَّرَتْ ما أُجْمِلَ في كتاب الله

فصلٌ

الاستهزاء بكتاب الله [illegible] نَقْضٌ للإيمان

وذلك أن مِن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بكتاب الله [illegible] **بخلق** [illegible] **على** [illegible].

[illegible] **شيخ** [illegible] **تيمية** [illegible]:

«[illegible]»[1].

[illegible]

(1) «مجموع الفتاوى» (3/144)
وانظر منه: (3/144، 174، 175، 401 ـ 404) (12/36، 40).

(2) رواه مسلمٌ (8) من حديث عمر بن الخطاب [illegible].

[1] ()«شرح الطحاوية» (ص/297).

[2] ()«أضواء البيان» للشنقيطي (7/222).

[illegible]

[1] انظر: «أحكام الرِّدة والمرتدين من خلال شهادتي الغزالي ومزروعة» د. محمود مزروعة رئيس قسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر (ص/259).

فصلٌ

الاستهزاء بالقرآن يعني: هدمَ الإِسْلام

ذلك أنَّ القرآن هو مصدر الإسلام ومادَّته ، ومنبع أحكامه وتشريعاته ، فمن استهزأ بالقرآن فقد استهزأ بأحكام الإسلام وتشريعاته ، ومَن استهزأ بها جَحَدَها؛ بل لا يصدر الاستهزاء إلا عن جحودٍ وبُغْضٍ ، ومَنْ جحدَ الأحكام والتشريعات: فقد جحدَ الإسلام ، وهدم أركانه ، وأسقَط بنيانه.

والقرآن هو المصدر الأول للتشريعات لدى المسلمين ، والأصل الأول لتلقِّي الدين، فمَنْ استهزأ به فقد استهزأ بالدين كلِّه ، ومَنْ هدمه فقد هدم الدين كلِّه ، كما أنَّ مَنْ زاد فيه أو نقص منه فقد زاد في الدين أو نقص منه.

ولذا حَفِظَه الله مِن التحريف والتبديل ، وصَانَهُ عن الزيادة النقصان ، كما قال ﷻ :

«

.

---

1 () وردت وصية النبيِّ

.

:

[illegible]

---

[1] () يعني الهالك الذي نبغ؛ أي: ظهر في زمان ابن الأنباري.

[2] () وهذا أخف من قول بعض الشيعة القائلين بأنَّ الموجود الآن من المصحف قدر النصف ، ونصفه الباقي سيظهر – في زعمهم – مع رجلٍ ينتظرونه ، ويَرَوْنَهُ المهدي المنتظر ، ولهم في ذلك مزارٌ معروف في إيران ، فما بالك لو أدرك ابن الأنباري ذلك ورآه؟ والله المستعان على هذا الكفر.

وشبيهٌ بهذا الكفر: كفر ذلك الهالك الآخر المنسوب زورًا وبهتانًا إلى الأدب العربي حين زعم تعديل بعض كلمات القرآن واستبدالها بغيرها مِن الألفاظ ، وزعم الهالك أنَّ ما أورده مِن ألفاظٍ أَوْلَى في السياق والتعبير مما ورد في القرآن ، فأَعْمى الله قلبه بعد بصره ، وأخذَه غير مأسوفٍ عليه ، وأَحْسَأ ذِكْره وذِكْراه رغم المحاولات المتكررة لإظهاره ، ومَنْ خفضه الله لا يرفعه إنسانٌ.

[3] () وهذا شبيهٌ بالكفر الآخر المذكور في كلام بعض زنادقة الزمان ، حيث زعم أنَّ القرآن «كلام بشرٍ ، زاد فيه أبو بكرٍ وعُمَر أشياء» ، وزعمَ أنَّ الله تقدَّس وتنزَّه قد نزل إلى الأرض وجَلَسَ مع أبي بكرٍ وعمر ، وراهم وهم يفعلون ذلك ولم يُنْكِر عليهم ، إلى آخر هذا الكفر والزندقة التي أَهَّلَتْ مثل هذا المارق لنَيْلِ الرِّضى والجائزة من أصحابه الكفار.

وتأمَّل قول الحق: [illegible] .

[4] () يعني: هذا الهالك الذي يحكي ابن الأنباري رحمه الله قوله.

[5] () وهذه بعينها فِكْرَةُ المنسوب زورًا وبهتانًا للأدب العربي ، فانظر يرحمك الله إلى تشابه الكفر ، وتتابع الزنادقة؟!

الصحفلي أيدينا **تشتمل** على صحيفٍ **محرفة** مُغَيَّرة منها: « **إنْ تعذبهم** **عبادك** **العزيز** **الرحيم**» ، «**وجيهًا**» **والصواب** **مفترضةٍ** **أخبرنا** **وقرأ** **ثم** **هؤلاء** **صراطُ** [**4**] **فشاذٌّ** «**حَفِظَ** **احفظ**: [**9**]: **التغيير والتبديل والزيادة والنقص** **قارئُ**: «**نارًا** **لهبٍ** **الحطب** **كهؤلاء** **وبثباته**

---

1 () وهو ابن الأنباري رحمه الله.

2 () يعني: إتيانه بقولٍ مُحْدَثٍ لم يُسْبَقْ إليه ، وليس المراد البدعة الاصطلاحية؛ لأنَّ كلامَ الهالك المذكور هنا كفرٌ لا شكَّ فيه ، وهذا ظاهرٌ مِن سياق الكلام هنا.

[1] () «تفسير القرطبي» (1/80- 85).

(1) في أثناء الكلام على مَنْ سبَّ الله

فصلٌ
في الآياتِ الواردةِ فيمَنْ سبَّ القرآن

وقد وردت جملةُ آياتٍ في هذا الباب نذكر بعضها مع بيان بعض أقوال العلماء في شرحها؛ فمن ذلك:

- **قال** [illegible]:

قال الإمام ابنُ جريرٍ الطبري رحمه الله:

«وقوله: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾؛ يعني: وقد نَزَّلَ عليكم أَنكم إِنْ جالَسْتُم مَنْ يكفر بآيات الله ويستهزيء بها وأنتم تسمعون؛ فأنتم مثله؛ يعني: فأنتم إِنْ لم تقوموا عنهم في تلك الحال مثلهم في فعلهم؛ لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات الله يُكْفَرُ بها ويُسْتَهْزَأُ بها ، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله. فقد أتيتم مِنْ معصية الله نحو الذي أَتَوْهُ منها ، فأنتم إذًا مثلهم في ركوبكم معصية الله ، وإتيانكم ما نهاكم الله عنه.

وفي هذه الآية: الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل مِنْ كلِّ نوعٍ ، مِن المبتدعة والفَسَقَةِ ، عند خوضِهم في باطلهم.

وبنحو ذلك كان جماعة مِن الأئمة الماضين يقولون ، تَأَوُّلاً منهم هذه الآية أَنَّه مُرَادٌ بها النهي عن مشاهدة كل باطلٍ عند خوضِ أهله فيه[1]»أهـ

ثم ساق الطبريُّ رحمه الله بإسناده عن إبراهيم التيمي ، عن أبي وائلٍ؛ قال: «إِنَّ الرجل لَيَتَكَلَّم بالكلمةِ في المجلسِ مِن الكذبِ ليُضْحِكَ بها جلساءَهُ؛ فيسخط الله عليهم». قال التيمي: فذكرتُ ذلك لإبراهيم النخعي؛ فقال: «صدق أبو وائل ، أَوَ لَيْسَ ذلك في كتاب الله: ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ

---

[1] («تفسير الطبري» (9/320-321 ، تحقيق: آل شاكر).

بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾؟».

وساق الطبريُّ أيضًا عن هشام بن عروة؛ قال: «أخذ عمر بن عبد العزيز قومًا على شرابٍ فضربهم ، وفيهم صائمٌ ، فقالوا: إنَّ هذا صائم! فتلا: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾».

وكلَا الأثَرَيْن ذَكَرَهما ابنُ أبي حاتم[1] رحمهما الله عند هذه الآية ، وذَكَرَ أيضًا[2] عن مقاتل بن حيان قوله في تفسير ﴿إنكم إذًا مثلهم﴾ قال مقاتل: «إِنْ قَعَدتم ورضيتم بخوضهم واستهزائهم بالقرآن فإنَّكم إذًا مثلهم».

وأورَدَ ابنُ أبي حاتمٍ عن مقاتل أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ قال مقاتل: «إنَّ الله جامع المنافقين من أهل المدينة ، والمشركين من أهل مكة؛ الذين خاضوا واستهزؤا بالقرآن في جهنم جميعًا».

قال الإمام القرطبيُّ رحمه الله:

«الخطاب لجميع مَنْ أَظْهَرَ الإيمان مِنْ مُحِقٍّ ومنافق؛ لأَنَّه إذا أظهرَ الإيمان فقد لَزِمَه أنْ يمتثل أوامر كتاب الله ، فالمُنَزَّل قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره﴾ [الأنعام:68] وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخَرون مِن القرآن».

قال القرطبيُّ رحمه الله:

«قوله تعالى: ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾؛ أي: غير الكفر ﴿إنكم إذًا مثلهم﴾ ، فدلَّ بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر؛ لأنَّ مَن لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم ، والرضا بالكفرِ كفرٌ؛ قال الله ﴿: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾.

فكل مَنْ جلسَ في مجلسِ معصيةٍ ولم يُنْكِر عليهم يكون معهم في الوِزْرِ سواءٌ ، وينبغي أن يُنْكِرَ عليهم إذا تكلموا بالمعصيةِ وعَمِلُوا بها؛ فإنْ لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون مِن أهل هذه الآية.

---

[1] ()«تفسير ابن أبي حاتم» (4/1093 رقم 6126-6127).
وكرَّرَ ابنُ أبي حاتم (4/1314-1315 رقم 7431) أثرَ التيمي عن أبي وائلٍ والنخعي في تفسير آية الأنعام [68].

[2] () السابق (4/1093-1094 رقم 6128-6129).

وقد رُوِيَ عن عمر بن عبد العزيز ﷺ أَنَّه أخذَ قومًا يشربون الخمرَ؛ فقيل له: عن أحدِ الحاضرين: إِنَّه صائمٌ؛ فحملَ عليه الأدب ، وقَرَأَ هذه الآية: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾؛ أي: إِنَّ الرضا بالمعصيةِ معصيةٌ؛ ولهذا يُؤَاخَذُ الفاعل والراضي بعقوبةِ المعاصي حتى يهلكوا بأجمعهم. وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات ولكنه إلزامٌ شُبِّه بحكم الظاهر مِن المقارنةِ؛ كما قال:

فَكُلُّ قَرِيْنٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

وقد تقدم[1]. وإذا ثبتَ تجنُّب أصحاب المعاصي كما بَيَّنَّا فتجنُّب أهل البدع والأهواء أَوْلَى[2]»أهـ

وقال الإمام برهان الدين البقاعي رحمه الله:

«ولما كانت آية الأنعام[3] مكية اقتصرَ فيها على مجرَّدِ الإعراض وقَطْعِ المجَالَسَةِ لعدم التمكّن مِن الإنكار بغير القلب ، وأما هذه الآية فمدنية ، فالتغيير عند إنزالها باللسان واليد ممكنٌ لكل مسلم ، فالمجالِسِ مِن غير نكيرٍ راضٍ؛ فلهذا علّل بقوله: ﴿إنكم إذًا﴾؛ أي: إذا قعدتم معهم وهم يفعلون ذلك ﴿مثلهم﴾؛ أي: في الكفر؛ لأنَّ مجالسة المظهر للإيمان المصرِّح بالكفران دالة على أنَّ إظهاره لما أظهر نفاقٌ ، وأنه راض بما يصرح به هذا الكافر ، والرضى بالكفرِ كفرٌ ، فاشتدَّ حُسْن ختم الآية بجمع الفريقين في جهنم بقوله مستأنِفًا لجوابِ السؤالِ عمَّا تكون به المماثلة: ﴿إن الله﴾؛ أي: الذي أحاط عِلْمه فتَمَّتْ قدرته ﴿جامع﴾.

ولَمَّا كان حال الأخفى أهم قدّم قوله: ﴿المنافقين﴾؛ أي: الذين يُظْهِرون الإيمان ويُبْطِنون الكفر ، فيقعدون مع مَن يسمعونه بكفرٍ ﴿والكافرين﴾؛ أي: الذين يُجاهرون بكفرهم لرسوخهم فيه ﴿في جهنم﴾ التي هي سجن المَلِك ﴿جميعًا﴾ كما جَمَعَهُمْ معهم مجلسُ الكفرِ الذي هو طعنٌ في مَلِكِ المُلْك ،

---

[1] () وقال ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير» (2/228): «وفي ماذا تقع المماثلة؟ فيه قولان: أحدهما: في العصيان. والثاني: في الرضي بحالهم؛ لأنَّ مُجَالِس الكافرِ غير كافرٍ»أهـ
وراجع كلام الطبريَ وغيره المذكور في الآية.

[2] () «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (5/417-418).
ونحوه في «فتح القدير» للشوكاني (1/526-527)؛ وراجعه.

[3] يعني قوله تعالى : ﴿ .... ﴾ [:].

والتسوية بينهم في الكفرِ بالقعود معهم دالة على التسوية بين العاصي ومُجَالِسِه بالخُلْطَةِ مِن غير إنكارٍ[1]»أهـ

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى (ت 1233):

«فذكر تبارك وتعالى أنه نَزَّلَ على المؤمنين في الكتاب: أنهم إذا سمعوا آياتِ الله يُكْفَرُ بها ، ويُسْتَهْزَأ بها فلا يقعدوا معهم ، حتى يخوضوا في حديثٍ غيره. وأنَّ مَن جلسَ مع الكافرين بآيات الله المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم فهو مثلُهم ، ولم يُفرِّق بين الخائفِ وغيره؛ إلاَّ المكره.

هذا؛ وهم في بلدٍ واحدٍ في أول الإسلام ، فكيف بمن كان في سَعَة الإسلام وعزِّه وبلاده ، فدعا الكافرين بآياتِ الله المستهزئين بها إلى بلاده ، واتخذهم أولياءً وأصحابًا وجلساءً ، وسَمِعَ كفرَهُم واستهزَاءَهم وأقرَّهم ، وطردَ أهلَ التوحيد وأبعدَهم؟[2]»أهـ

وقال الشيخ حمد بن عليِّ بن عتيق رحمه الله تعالى (ت 1301):

«وفي أجوبة آل الشَّيخ رحمهم الله تعالى لَمَّا سُئِلُوا عن هذه الآية وعن قوله : (مَن جَامَعَ المشركَ أو سكنَ معَه فهو مثلُه) [3] ، قالوا: الجواب أنَّ الآية على ظاهرها؛ أنَّ الرَّجل إذا سَمِعَ آياتِ الله يُكْفَر بها ويُسْتهزأ بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين بآيات الله مِنْ غيرِ إكراهٍ ولا إنكارٍ ولا قيام عنهم حتَّى يخوضوا في حديثٍ غيره ، فهو كافرٌ مثلهم ، وإنْ لم يفعل فعلَهم؛ لأنَّ ذلك يتضمَّن الرِّضا بالكفر ، والرِّضا بالكفرِ كفرٌ ، وبهذه الآية ونحوِها استدلَّ العلماءُ على أنَّ الرِّضا بالذَّنب كفاعله[4]

---

[1] «نظم الدرر» للبقاعي (5/438 ـ 439).

[2] رسالة: «الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك» للشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله.
بواسطة: «التوسط والاقتصاد» للشيخ علوي السقاف حفظه الله (ص/101 - ط: دار ابن القيم بالدمام).

[3] () **حديث ضعيف:**
رواه أبو داود (2787) ، والحاكم (2627) ، والطبراني (7023 ، 7024) وفي بعض أسانيده ضعفٌ وفي الأخرى انقطاع في طبقة الضعف فيُخْشى أنْ يعود إلى طريقٍ واحدٍ؛ فلم يصلح تقوية بعض طرقه ببعض.
وانظر له أيضًا: «الميزان» للذهبي و«اللسان» لابن حجر أثناء ترجمة: «مروان بن جعفر السمري» الوارد في بعض أسانيده عند الطبراني.
وانظر في شرحه: «فيض القدير» (6/111-112).

[4] كذا في «الأصل» ، والأصوب أن يقال: «الرّضا بالذَّنب كفِعْله» أو

، فإن ادَّعى أَنَّه يكره ذلك بقلبه لم يُقْبَل منه؛ لأَنَّ الحكم بالظاَّهر ، وهو قد أظهر الكفر فيكونُ كافرًا[1]»أهـ

وذَكَرَ الدكتور محمد نعيم ياسين الآية المذكورة ثم قال:

«فذكر تعالى أَنَّهُ نزَّلَ على المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات الله يُكْفر بها ويُستهزأ بها فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيرِه ، وأَنَّ مَن جلس مع الكافرين بآيات الله المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم فهو مثلهم ، هذا؛ وهم في بلدٍ واحدٍ في أول الإسلام ، فكيف بمَنْ كان في سَعَة الإسلام وعِزّه وبلاده ، فدعا الكافرين بالله المستهزئين بها إلى بلادِه واتَّخَذهم أولياء وأصحابًا وجلساء ومستشارين ، وسمع كفرهم واستهزائهم وأقرّهم ، وطردَ علماء المسلمين وأبْعَدهم؟! فهذا أسلوبٌ مِن أساليب الرِّضى بالكفر والكفار يُبْعد صاحبه عن الإيمان ، ويُدْخله في الكفر والعياذ بالله؛ لأَنَّ السكوت في مَجَالِس الكفر وما يكون فيها: دليلٌ كافٍ على الموافقة.

فيجب على المؤمن أَنْ يحذرَ ذلك كما يحذر الكفر الصريح ، فيلزمه مفارقة هذه المجالس ، حتى ينجوَ مِن عذاب الله ، ولا يمنعه مِن ذلك خوفٌ على مالٍ أو مركزٍ ، أو أيّ عَرَضٍ مِن أعراض هذه الدنيا؛ فإِنَّ الله سبحانه أحقّ أَنْ يخشاه[2]»أهـ

فَدَلَّت الآيةُ - مع أقوال المفسِّرين فيها - على مسائل؛ منها:

الأولى: أَنَّ الاستهزاء بآيات الله كفرٌ صريحٌ لا شكّ فيه.

الثانية: أنّ الرّضى بهذا الكفر - أو غيره من أنواع الكفرِ -: كفرٌ أيضًا.

ومِن الرِّضى بالكفر: تشجيع أصحابه ، ودَعْم مسيرتهم وأعمالهم ، ونشر باطلهم وكفرهم بين الناس ، ونحو ذلك مِن ألوان الرِّضى بالكفر.

«الرَّاضي بالذَّنب كفاعله» نقلاً عن «حاشية (التوسط)».

[1] انظر: «سبيل النجاة والفكاك» للشيخ حمد بن علي بن عتيق رحمه الله (ص/54 ـ ط: دار القرآن الكريم ط 5 ـ 1400).
بواسطة: «التوسط والاقتصاد» (ص/114 ـ 115 ـ ط: دار ابن القيم بالدمام).

[2] كتاب «الإيمان» د. محمد نعيم ياسين (ص/109- ط: مكتبة الزهراء بالقاهرة).
ومضى نحو بعض كلامه وعباراته في كلام الشيخ سليمان بن عبد الله السابق قريبًا.

الثالثة: ضرورة اجتناب الكافرين ، والمستهزئين بدين الله وآياته ، وتَرْك موالاتهم ، واتِّباع كافَّة أحكام البراءة مِن الكافرين معهم ، والإنكار عليهم ، ومقاومتهم بكافة السُّبُل المتاحة.

- **وقال [illegible]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [illegible] تَتَّخِذُوا [illegible] دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا [illegible] قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ [illegible] إِنْ [illegible] مُؤْمِنِينَ (57) [illegible] إِلَى الصَّلَاةِ [illegible] قَوْمٌ [illegible]﴾ [المائدة: [illegible] ـ 58].**

قال ابنُ جريرٍ الطبريُّ رحمه الله:

«يقول تعالى ذِكْرُه للمؤمنين به وبرسوله محمد ﷺ: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾؛ أي: صَدَّقوا الله ورسولَه: ﴿لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾؛ يعني: اليهود والنصارى الذين جاءتهم الرسل والأنبياء ، وأُنْزِلَتْ عليهم الكتب مِنْ قبل بَعْث نبينا ﷺ ، ومِنْ قبل نزول كتابنا ﴿أولياء﴾؛ يقول: لا تتخذوهم - أيها المؤمنون - أنصارًا أو إخوانًا أو حُلَفاء؛ فإنهم لا يَأْلُونَكُم خَبَالاً؛ وإِنْ أَظْهَروا لكم مودةً وصداقةً[1]......» إلى آخره.

إلى أن قال ابن جرير رحمه الله:

«يقول تعالى ذِكْرُه: وإذا أذَّن مؤذنكم - أيها المؤمنون - بالصلاة: سَخِرَ مِن دعوتكم إليها هؤلاء الكفار مِن اليهود

---

[1] قال القرطبي رحمه الله (6/ 224): «قال ابن خُوَيْزِ مَنْدَاد: هذه الآية مثل قوله تعالى: [illegible]
[illegible]

والنصارى والمشركين ، ولعبوا مِن ذلك[1] ، ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾؛ يعني تعالى ذِكْره بقوله: ﴿ذلك﴾: فِعْلهم الذي يفعلونه ، وهو هزؤهم ولعبهم مِن الدعاء إلى الصلاة؛ وإنما يفعلونه بجهلهم بربهم ، وأنهم لا يعقلون مالهم في إجابتهم إِنْ أجابوا إلى الصلاة ، وما عليهم في استهزائهم ولعبهم بالدعوة إليها ، ولو عَقَلوا ما لِمَنْ فعلَ ذلك منهم عِنْدَ الله مِن العقاب؛ ما فعلوه».

وساق ابنُ جرير في ذلك عن السُّدِّي قوله:

«﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوًا ولعبًا﴾: كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سَمِعَ المنادي ينادي: (أشهد أنَّ محمد رسول الله) قال: حُرِّق الكاذب! فدخَلَتْ خادمه ذات ليلة مِن الليالي بنارٍ - وهو نائمٌ وأهله نيام - فسقطتْ شرارةٌ فأَحْرَقَتِ البيتَ ، فاحْتَرَقَ هو وأهله[2]»أهـ

وذكر القرطبي رحمه الله حكاية هذا النصراني؛ فقال:

«رُوِيَ أنَّ رجلاً من النصارى وكان بالمدينة إذا سَمِعَ المؤذِّن يقول: (أشهد أن محمد رسول الله) قال: حُرِّق الكاذب؛ فسقطتْ في بيته شرارةٌ مِن نار - وهو نائمٌ - فَتَعَلَّقَتْ بالبيت فأحرقَتْه وأَحْرَقَتْ ذلك الكافر معه؛ فكانت عِبْرَةً لِلْخَلْقِ (والبلاءُ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ)[3] ، وقد كانوا يُمْهَلُون مع النبيِّ ﷺ حتى يَسْتَفْتِحُوا؛ فلا يُؤَخَّروا بعد ذلك؛ ذكره ابن العربي[4]»أهـ

وقال: ابن كثير رحمه الله:

«هذا تنفيرٌ مِن موالاة أعداء الإسلام وأهله مِن الكِتَابِيين والمشركين؛ الذين يتخذون أفضل ما يعمله

---

[1] قال ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير» (2/386): «واتخاذهم إيَّاها ـ [يعني: الصلاة]ـ هزوًا: تضاحكهم وتغامزهم [illegible] هزؤهم ولعبهم ﷺ»[illegible]

[2] «تفسير الطبري» (10/428 فما بعد ـ تحقيق آل شاكر).

[3] () فجازاه الله مِنْ جِنْسِ ما تمنَّاه للنبي ﷺ [illegible].

[4] «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (6/233).

العاملون - وهي شرائع الإسلام المطهرة المُحْكَمة المشتملة على كل خيرٍ دنيويٍّ وأُخرويٍّ؛ يتخذونها - ﴿هزوًا ﴾ يستهزءون بها ، ﴿ولعبًا﴾ يعتقدون أنها نوعٌ مِن اللعب في نظرهم الفاسد ، وفِكْرهم البارد؛ كما قال القائل:

وكم مِن عائِبٍ قولاً صحيحًا وآفتُهُ مِن الفهم السَّقيمِ»[1].

قال ابن كثير رحمه الله:

«وقوله: ﴿واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾؛ أي: اتقوا الله أَنْ تتَّخذوا هؤلاء الأعداء لكم ولدِينكم أولياء إِنْ كنتم مؤمنين بشرع الله الذي اتخذه هؤلاء هزوًا ولعبًا؛ كما قال تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكفرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيءٍ إلاَّ أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ [آل عمران: 28].

وقوله: ﴿وإذا نادَيتم إلى الصلاة اتخذوها هزوًا ولعبًا﴾؛ أي: وكذلك إذا أَذَّنْتُم داعين إلى الصلاة؛ التي هي أفضل الأعمال لمن يعقل ويعلم مِن ذوي الألباب ﴿اتخذوها﴾ أيضًا ﴿هزوًا ولعبًا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ معاني عبادة الله وشرائعه ، وهذه صفات أَتْبَاع الشيطان؛ الذي (إذا سمع الآذان أَدْبَرَ وله حصاص - أي: ضراط - حتى لا يسمع التَّأذِين ، فإذا قُضِيَ التأذين أَقْبَلَ ، فإذا ثُوِّبَ[2] للصلاة أَدْبَر ، فإذا قُضِيَ التثويب أقبلَ حتى يَخْطِرَ[3] بين المرء

---

[1] «تفسير القرآن العظيم» (2/68)

[2] () يعني: أُقِيْمَ للصلاة.
وقد ورَدَ ذلك صريحًا في بعض روايات هذا الحديث في «صحيح مسلم» (389) من رواية جرير، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ: «[illegible]».

[3] () يعني: يوسوس ، وقد وردَ ذلك صريحًا في رواية مسلمٍ المشار إليها في الحاشية السابقة.
وأصله مِنْ خَطَرَ البعير بِذَنَبِهِ إذا حَرَّكَه فضربَ به فخِذَيْه.

وقلبه؛ فيقول: اذْكُرْ كذا اذْكُرْ كذا لِمَا لم يكن يَذْكُرْ، حتى يظلَّ الرجل لا يدري كم صَلَّى، فإذا وَجَدَ أحدكم ذلك فلْيَسْجُد سجْدَتَيْن قبل السلام)[1] متفق عليه[2]»أهـ

وقال الإمام الآلوسي رحمه الله:

«والكلام مسوقٌ لبيان استهزائهم بحكمٍ خاصٍّ مِن أحكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الإطلاق؛ إظهارًا لكمال شقاوتهم ﴿ذلك﴾؛ أي: الاتخاذ[3] المذكور ﴿بأنهم﴾؛ أي: بسبب أنهم ﴿قوم لا يعقلون﴾؛ فإنَّ السَّفَهَ يُؤَدِّي إلى الجهل بمحاسن الحق والهزء به، ولو كان لهم عقلٌ في الجملة لما اجترأوا على تلك العظيمة[4]»أهـ

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله:

«هذا النهي عن موالاة المتخذين للدين هزوًا ولعبًا يعمُّ كل مَن حصل منه ذلك مِن المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع المنتمين إلى الإسلام، والبيان بقوله: ﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾ إلى آخره لا ينافي دخول غيرهم تحت النهي إذا وُجِدَت فيه العلة المذكورة التي هي الباعثة على النهي[5]»أهـ

فدلَّت الآيةُ بلفظها - مع كلام أهل العلم عليها - على أمور؛ منها:

الأول: كفرُ مَن استهزأ بالدين - أو بشيءٍ منه -، وهذا ظاهرٌ؛ ولذا أَمَرَ سبحانه وتعالى بترك موالاة المستهزئين بالدين.

---

[1] () رواه البخاري (608، 1222، 1231، 1232، 3285)، ومسلم (389) من حديث أبي هريرة .

[2] «تفسير القرآن العظيم» لابن كثيرٍ رحمه الله (2/69).

[3] يعني قوله: [illegible].

[4] «روح المعاني» للإمام الآلوسي (6/172).

[5] «فتح القدير» للشوكاني (2/54)

الثاني: ضرورة اجتناب مَن استهزأ بالدين ، وسخر منه ، أو ببعضه ، سواءٌ كان مِن غير المسلمين ، أو مِن المنتمين للإسلام.

الثالث: أنَّ الاستهزاء بالدين مِن شِيَم الكفار والمشركين ، مِن اليهود والنصارى وغيرهم ، ومَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم.

الرابع: أنَّ الأمر باجتنابهم لاستهزائهم بالدين - أو بعضه - يدلُّ على شناعة الاستهزاء بالدين.

الخامس: في حكاية السُّدِّي السابقة عن بعض النصارى ما يدلُّ على عظيم جزاء مَن استهزأ بالدين - أو بعضه - ، وكيف أَحْرَقَهُ الله ، وأنزلَ به مِن جنسِ ما تمنَّاهُ للنبيِّ ﷺ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾ [آل عمران:13].

- **وقال ﷺ: ﴿ [:].**

المراد بالآيات: القرآن كما قال مقاتل بن حيان[1] وغيره ، والخوض فيها: التكذيب والاستهزاء بها.

قال مجاهد:

«قوله: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ قال: «يستهزئون بها[2]. قال: نُهِيَ رسول الله ﷺ أَنْ يقعدَ معهم إلاَّ أَنْ ينسى ، فإذا ذَكَرَ فلَيقُمْ. فذلك قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[(3)]»أهـ

وقال ابنُ جُرَيْج:

---

[1] ذكره ابن أبي حاتمٍ في «تفسيره» (4/1315 رقم 7432) بإسناده عن مقاتل.
وانظر: «تفسير الطبري» (11/436) ، و«زاد المسير» لابن الجوزي (3/62).

[2] وفي بعض الروايات عن مجاهد: «يكذبون بها».
وكلا التفسيرين واردٌ في تفسير هذه الآية عن غير واحدٍ من السلف.

[3] «تفسير الطبري» (11/438 رقم 13393).
وانظر: ابن أبي حاتم (4/1315 رقم 7433) فقد أورده بنحوه مختصرًا.

«كان المشركون يجلسون إلى النبي ﷺ يحبون أَنْ يسمعوا منه ، فإذا سَمِعُوا استهزأوا ، فَنَزَلَتْ: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾ الآية[1]»أهـ

وقال السُّدِّي:

«﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾؛ قال: كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي ﷺ والقرآن فسبّوه واستهزأوا به ، فأمرَهم الله أَنْ لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره. وأما قوله: ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾؛ يقول: نَهْيَنَا[2] فَقَعَدَتَ معهم ، فإذا ذكرتَ فقُمْ[3]»أهـ

وقال الإمام الطبريُّ رحمه الله:

«يقول تعالى ذِكْرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ :﴿وإذا رأيت﴾ يا محمد ، المشركين ﴿الذين يخوضون في آياتنا﴾ التي أنزلناها إليك ، ووحينا الذي أوحيناه إليك - وخوضهم فيها: كان استهزَاءَهم ، وسَبَّهُمْ مَن أنزلها وتكلَّمَ بها ، وتكذيبَهُمْ بها -: ﴿فأعرض عنهم﴾؛ يقول: فصُدَّ عنهم بوجهك ، وقُمْ عنهم ، ولا تجلس معهم ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾؛ يقول: حتى يأخذوا في حديثٍ غير الاستهزاء بآيات الله مِن حديثهم بينهم ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾؛يقول: وإِنْ أنساكَ الشيطانُ نَهْيَنا إِيَّاكَ عن الجلوس معهم والإعراض عنهم في حال خوضِهم في آياتنا ، ثم ذكرتَ ذلك؛ فقُمْ عنهم ، ولا تقعد بعد ذِكْرِكَ ذلكَ ﴿مع القوم الظالمين﴾

---

[1] «تفسير الطبري» (11/438 رقم 13393)

[2] قال الشيخ محمود شاكر رحمه الله في حاشية «تفسير الطبري»: «وقوله: (نَهْيَنا) مفعول قوله في الآية: ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾»

[3] «تفسير الطبري» (11/437 رقم 13389).
وأورده ابن أبي حاتم (4/1314 رقم 7430) بنحوه مختصرًا.

الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوضُ فيه بما خاضوا به فيه ، وذلك هو معنى (ظلمهم) في هذا الموضع[1]»أهـ

قال الإمام القرطبيُّ رحمه الله:

«....فأدَّبَ الله نبيَّهُ بهذه الآية؛ لأنه كان يقعد إلى قومٍ من المشركين يَعِظهم ويدعوهم فيَسْتَهْزِءون بالقرآن؛ فأمَرَهُ الله أنْ يُعْرِضَ عنهم إعراضَ مُنْكِرٍ.

ودلَّ بهذا على أنَّ الرجلَ إذا عَلِمَ مِنَ الآخرِ منكرًا وعِلمَ أنَّه لا يقبل منه فعليه أنْ يُعْرِضَ عنه إِعْرَاضَ مُنْكِرٍ ولا يُقْبِل عليه.

وروى شبل ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهدٍ في قوله: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا؛ قال: هم الذين يستهزءون بكتاب الله ، نهاه الله عن أن يجلس معهم؛ إلاَّ أن ينسى ، فإذا ذَكَرَ قام.

وروى وَرْقاء ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهدٍ؛ قال: هم الذين يقولون في القرآن غير الحقّ[2]»أهـ

وقال الإمام الشنقيطي رحمه الله:

«نهى الله تعالى نبيَّه في هذه الآية الكريمة عن مجالسة الخائضين في آياته ، ولم يُبَيِّن كيفية خوضهم فيها؛ التي هي سبب منع مجالستهم ، ولم يذكر حكم مجالستهم هنا ، وبَيَّنَ ذلك كله في موضعٍ آخر؛ فبيَّنَ أنَّ خوضهم فيها بالكفر والاستهزاء بقوله: وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُم الآية [النساء:140].

وبَيَّن أنَّ مَن جالَسَهُمْ في وقتِ خوضِهم فيها مثلهم في الإثم بقوله: إنكم إذًا مثلهم [النساء:140].

وبَيَّن حكم مَن جالَسَهُم ناسيًا ثم تذكَّرَ بقوله هنا: وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ

---

[1] قال القرطبيُّ في «تفسيره» (7/14): « [illegible]»

[2] «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (7/12).

الظَّالِمِينَ [الأنعام:68] ، كما تقدم في سورة النساء[1]» أهـ

فدلَّت الآية - والأقوال في تفسيرها - على مسائل؛ منها:

الأولى: أَنَّ الخوض في آيات الله والاستهزاء بها كفرٌ وظلم؛ لأنَّ الله ختم الآية بوصف هؤلاء بقوله مع القوم الظالمين.

قال الإمام القرطبيُّ رحمه الله: «يعني: المشركين»[2].

وسبق نحو ذلك في كلام ابن جُرَيْجٍ وغيره.

الثانية: لزوم الإعراض عمَّنْ تلبَّسَ بشيءٍ مِن الأمور المذكورة؛ إعراضَ إنكارٍ.

وقد سبق أنَّ مجالسةَ مثل هذا تُعَدُّ رضىً بما هو عليه ، والرضى بالكفرِ كفرٌ؛ والعياذ بالله.

- **وقال [illegible]**

قال الإمام الطبريُّ رحمه الله:

«يقول تعالى ذِكْره لنبيِّه محمد : ذَرْ هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إيَّاهُ لعبًا ولهوًا ، فجعلوا حظوظهم مِن طاعتهم إيَّاه اللعب بآياتهِ ، واللهوَ والاستهزاء بها إذا سمعوها وتُلِيَتْ عليهم ، فأَعْرِض عنهم ، فإنِّي لهم بالمرصاد ، وإنّي لهم مِن وراء الانتقام منهم والعقوبة لهم على ما يفعلون ، وعلى اغترارِهم بزينة الحياة الدنيا ، ونسيانهم المعاد إلى الله تعالى ذِكْره والمصيرَ إليه بعد الممات[3]» أهـ

---

1 «أضواء البيان» للشنقيطي (2/153).
2 «الجامع لأحكام القرآن» (7/14).
3 «تفسير الطبري» (11/441).

وساق ابنُ أبي حاتمٍ[1] والطبريُّ بإسنادهما عن مجاهدٍ في هذه الآية؛ قال: «مثل قوله: ﴿ذرني ومن خلقت وحيدًا﴾ [المدثر:11]»أهـ

يُريد بذلك أنَّ الآية وردت على سبيل الوعيد لهم ، والتهكُّم بهم ، لا الإباحة لما يفعلونه مِن اللعب واللهو والاستهزاء بآيات الله ﷻ.

قال الإمام القرطبيُّ رحمه الله:

«ومعنى ﴿لعبًا ولهوًا﴾ باطلاً وفرحًا ، وقد تقدَّم هذا.....[2]»أهـ

قال الطبريُّ رحمه الله:

«وقد نسخ الله تعالى ذِكْره هذه الآية بقوله: ﴿اقتلوا المشركين حيثُ وجدتموهم﴾ [التوبة:5] وكذلك قال عددٌ مِن أهل التأويل»[3].

ثم ساق الطبريُّ نحو ذلك عن قتادة[4] رحمه الله ، والمراد نسخ تركهم بلا قَتْلٍ ، ثم الأمر بقتلِهم بعد ذلك ، لا نسخ الوعيد لهم على ما يرتكبونه مِن لهوٍ واستهزاءٍ بآيات الله ﷻ ، وهذا ظاهرٌ؛ والله أعلم.

قال ابن الجوزي رحمه الله:

«ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر مِن الآية قولان:

أحدهما: أنه خرج مخرج التهديد؛ كقوله: ﴿ذرني ومن خلقت وحيدًا﴾ [المدثر:11] فعلى هذا هو محكمٌ؛ وإلى هذا المعنى ذهب مجاهدٌ.

والثاني: أنه اقتضى المسامحة لهم والإعراض عنهم ، ثم نُسِخَ بآية السيف؛ وإلى هذا ذهب قتادة والسُّدِّي[5]»أهـ

---

[1] «تفسير ابن أبي حاتم» (4/1317 رقم 7447).
[2] «الجامع لأحكام القرآن» (7/15).
[3] «تفسير الطبري» (11/442).
[4] وأوردة ـ أيضًا ـ ابن أبي حاتم (4/1317 رقم 7448) بإسناده عن قتادة.
[5] «زاد المسير» لابن الجوزي (3/64).

وقال القرطبيُّ[6] رحمه الله:

«الآية منسوخة بآية القتال. وقيل: ليست بمنسوخة؛ لأنَّ قوله: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم﴾ تهديدٌ؛ كقوله: ﴿ذرهم يأكلو ويتمتعوا﴾ [الحجر:3] ، ومعناه: لا تحزن عليهم؛ فإنما عليك التبليغ والتذكير بإِبْسَالِ النفوس ، فمَنْ أُبْسِلَ فقد أُسْلِمَ وارْتُهِنَ. وقيل: أصله التحريم؛ مِن قولهم: هذا بَسْلٌ عليك؛ أي: حرامٌ؛ فكأنهم حُرِموا الجنة وحُرِّمت عليهم الجنة. قال الشاعرُ:

أَجَارَتكُم بَسْلٌ علينا مُحَرَّمٌ   وجارتُناَ حِلٌّ لكم وحَلِيلُها

والإِبْسَالُ: التحريم[2]»أهـ

فدلَّت الآية - مع تفسيرها - على مسائل؛ منها:

الأولى: أنَّ الاستهزاء واللهو واللعب بالدين - أو بعضه - يُعَدُّ كفرًا ، يستوجبُ صاحبه ﴿شراب من حميمٍ وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ [الأنعام:70] على ما ورد في آخر الآية.

الثانية: الوعيد الشديد لِمَنْ فعلَ ذلك.

الثالثة: وجوب التبليغ للقرآن ، والتذكير به.

• وقال [illegible]

وفي الآية بيان لقول أصحاب الجنة لأهل النار الكافرين ، وبيان لصفة الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا ، فجرَّهم هذا اللهو واللعب والسخرية؛ إلى جهنم وبئس المصير ، وزادهم جحودهم وافتراءهم على الله غير الحق نسيانَ الله ﷻ لهم ، كما نسوا لقاء الله من قَبْلُ وجحدوا بآياته ، فخسروا أنفسَهم وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون.

قال الإمام الطبريُّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأعراف:51]؛ قال:

---

6 «الجامع لأحكام القرآن» (7/17).

2 هذا هو أصله.

وقال القرطبيُّ رحمه الله (7/16): « [illegible]

«وهذا خَبَرٌ من الله عن قِيلِ أهل الجنة للكافرين.

يقول تعالى ذِكْره: فأجاب أهلُ الجنة أهلَ النار: ﴿إنَّ الله حرمها على الكافرين﴾ [الأعراف:50] الذين كفروا بالله ورسله ، ﴿الذين اتخذوا دينهم﴾ الذي أمرهم الله به ﴿لهوًا ولعبًا﴾؛ يقول: سخريةً ولعبًا».

ثم أورَدَ الطبريُّ عن ابن عباس قوله: «وذلك أنهم كانوا إذا دُعوا إلى الإيمان سخروا ممن دعاهم إليه وهزأوا به؛ اغترارًا بالله[1]»أهـ

وقال الرازي عفا الله عنه:

«ثم إنه تعالى وصف هؤلاء الكفار بأنهم اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا ، وفيه وجهان:

الوجه الأول: أنَّ الذي اعتقدوا فيه أنه دينهم؛ تلاعبوا به ، وما كانوا فيه مجدِّين.

والوجه الثاني: أنهم اتخذوا اللهو واللعب دينًا لأنفسهم؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المستهزئين المقتسمين».

قال الرازي:

«وفي الآية لطيفة عجيبة؛ وذلك أنه تعالى وصفهم بكونهم كانوا كافرين ، ثم بَيَّنَ مِن حالهم أنهم اتخذوا دينهم لهوًا أولاً ، ثم لعبًا ثانيًا ، ثم غرتهم الحياة الدنيا ثالثًا ، ثم صار عاقبة هذا الأحوال والدرجات أنهم جحدوا بآيات الله ، وذلك يدلُّ على أنَّ حبَّ الدنيا مبدأ كل آفة.... وقد يُؤَدِّي حبّ الدنيا إلى الكفر والضلال[2]»أهـ

فدلّت الآية - مع تفسير العلماء لها - على مسائل ، منها:

الأولى: أن الاستهزاء بآيات الله ﷻ واللهو واللعب بالدِّين يؤدَّي إلى جحود الآيات.

الثانية: أنَّ مَن استهزأ بآيات الله فقد كفر ، واستحقَّ جهنم بما فيها مِن عقابٍ وعذابٍ؛ ذلك أنَّ الله ﷻ وصف الكافرين ونعتَهُم باللهو واللعب والجحود بالآيات ، وأوجب لهم بذلك النارَ ، وحرَّم عليهم بذلك نعيم الجنان ، وزاد في التنكيلِ بهم فأراهم ما فيه أهل الجنة مِن نعيمٍ؛ نكالاً بهم ، وزيادةً في تعذيبهم وألَمِهِمْ؛ والعياذ بالله.

- وقال: [illegible]

---

[1] «تفسير الطبري» (12/475 رقم 14754).

وأورد ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (5/ 1491 رقم 8539) عن ابن عباس قال: «[illegible]»

[2] «التفسير الكبير» للفخر الرازي (14/77).

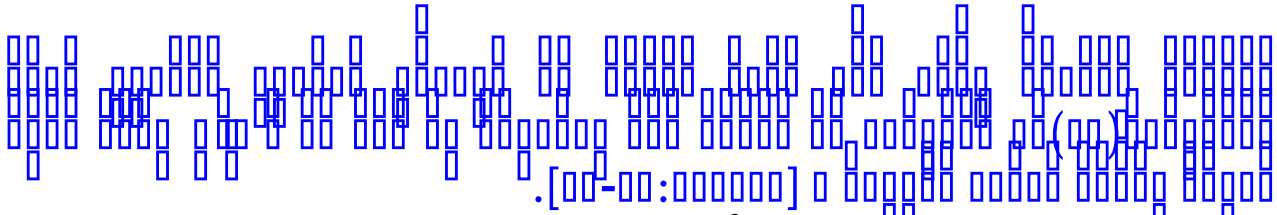

ذكر المفسِّرون[1] جملة مِن الأسباب في سبب نزول هذه الآية؛ لكنَّ العِبْرَةَ بعموم لفظها لا بخصوص سبب نزولها.

ولذا قال الرازي عفا الله عنه:

«اعلم أنه لا حاجة في معرفة هذه الآية إلى هذه الروايات؛ فإنها تدلُّ على أنهم ذكروا كلامًا فاسدًا على سبيلِ الطعن والاستهزاء ، فلمَّا أخبرهم الرسول [ﷺ] بأنهم قالوا ذلك خافوا واعتذروا عنه بأنَّا إنما قلنا ذلك على وجه اللعب ، وهذا يدلُّ على أن كلمة ﴿إنما﴾ تفيد الحصر؛ إِذْ لو لم يكن ذلك لم يلزم مِن كونهم لاعبين أن يكونوا مستهزئين ، فحينئذٍ لا يتم هذا العذر[2]»أهـ

قال ابن الجوزي رحمه الله:

«وقوله: ﴿قد كفرتم﴾؛ أي: أظهرتم كفركم بعد إظهاركم الإيمان؛ وهذا يدلُّ على أنَّ الجِدَّ واللّعب في إظهار كلمة الكفر سواءٌ[3]»أهـ

وقال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله:

«لا يخلو أَنْ يكونَ ما قالوه مِن ذلك جدًّا أو هزلاً ، وهو كيفما كان؛ فإنَّ الهزلَ بالكفر كفرٌ ، لا خلاف فيه بين الأمة ، فإنَّ التحقيق أخو العلم والحق ، والهزل أخو الباطل والجهل ، قال علماؤنا: انظر إلى قوله: ﴿اتتخذُنا هزوًا ؟ قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ [البقرة:67][4]»أهـ

وقال الإمام عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكيَا الهرَّاسي رحمه الله:

«فيه دلالة على أنَّ اللاعب والخائض سواءٌ في إظهار كلمة الكفر على غير وجه الإكراه؛ لأنَّ المنافقين ذكروا أنهم قالوا ما قالوه لعبًا ، فأخبر الله تعالى عن كفرهم باللعب بذلك.

ودلَّ أنَّ الاستهزاء بآيات الله تعالى: كفر[5]»أهـ

وذكر الجَصَّاص[6] رحمه الله نحوًا مِن ذلك أيضًا ، وسيأتي كلامه بنصِّه في هذا الكتاب[7] إن شاء الله تعالى.

قال الآلوسي رحمه الله:

---

[1] () انظر ـ مثلاً ـ: «تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله» (10/171 ـ 173).

[2] () «التفسير الكبير» للرازي (16/98).

[3] () «زاد المسير» لابن الجوزي (3/465).

[4] () «أحكام القرآن» لابن العربي (2/976 ـ 977).
ونقله عنه القرطبي في «الجامع» (8/197).

[5] () «أحكام القرآن» للهرَّاسي (3/214 ـ ط: دار الكتب العلمية).

[6] () في «أحكام القرآن» له (3/183ـ ط: دار الكتب العلمية),

[7] () أثناء ذِكْر أقوال السابقين في حكم من استهزأ بالقرآن.

«واستدل بعضُهم بالآية على أنَّ الجّد و اللّعب في إظهار كلمة الكفر سواءٌ ، ولا خلاف بين الأئمة في ذلك[1]»أهـ

وقال الرازي: عفا الله عنه:

«إنه تعالى بَيَّنَ أنَّ ذلك الاستهزاء كان كفرًا ، والعقل يقتضي أنَّ الإقدام على الكفر لأجل اللعب غير جائز؛ فثبتَ أنَّ قولَهم: ﴿إنما كنا نخوض ونلعب﴾ ما كان عذرًا حقيقيًّا في الإقدام على ذلك الاستهزاء ، فلما لم يكن ذلك عذرًا في نفسِه نهاهم الله عن أنْ يعتذروا به؛ لأنَّ المنعَ عن الكلام الباطل واجبٌ؛ فقال: ﴿لا تعتذروا﴾؛ أي: لا تذكروا هذا العذر في دفع هذا الجرم»[2].

قال الرازي:

«قوله: ﴿قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ يدلُّ على أحكام:

الحكم الأول: أنَّ الاستهزاء بالدين كيف كان كفرٌ بالله؛ وذلك لأنَّ الاستهزاء يدلُّ على الاستخفاف ، والعمدة الكبرى في الإيمان: تعظيم الله تعالى بأقصى الإمكان ، والجمعُ بينهما محالٌ.

الحكم الثاني: أنَّه يدلُّ على بطلان قول مَن يقول: الكفر لا يدخل إلاَّ في أفعال القلوب.

الحكم الثالث: يدلُّ على أنَّ قولهم الذي صدر منهم كفرٌ في الحقيقة؛ وإنْ كانوا منافقين مِن قَبْلُ ، وأنَّ الكفر يمكن أنْ يتجدَّد مِن الكافر حالاً فحالاً.

الحكم الرابع: يدلُّ على أنَّ الكفر إنما حَدَثَ بعد أَنْ كانوا مؤمنين.

ولقائلٍ أنْ يقول: القوم لما كانوا منافقين فكيف يصح وصفهم بذلك؟

قلنا: قال الحسن: المراد ﴿كفرتم بعد إيمانكم﴾ الذي أظهَرْتُموه ، وقال آخرون: ظهر كفركم للمؤمنين بعد أنْ كنتم عندهم مسلمين ، والقولان متقاربان[3]»أهـ

وقال الإمام نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري رحمه الله تعالى (ت 728) في تفسير هذه الآيات:

«وفيه أنَّ الاستهزاء بالدين كيف كان كفرٌ بالله صريحٌ؛ لأنَّ العمدةَ الكبرى في الإيمان: هو التعظيم لأمر الله ولشرائعه[4]»أهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الكلام على قوله تعالى في هذه الآيات: ﴿ ﴾ [ ]:

---

[1] () «روح المعاني» (10/131).

[2] () «التفسير الكبير» للرازي (16/98).

[3] () السابق (16/99).

[4] () قاله نظام الدين فى تفسيره الذى اختصر فيه «التفسير الكبير» للرازي ، و ضمَّ إليه فوائد أخرى من «الكشاف» وغيره ، وسماه: «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (2/1624- ط:دار الصفوة بالقاهرة).

[illegible]

[1] () «مجموع الفتاوى» (15/33).

[2] () «أيْسر التفاسير» للجزائري (2/390-391).
واستدلَّ ابنُ حزمٍ أيضًا بهذه الآية على نحْوٍ ممَّا ذُكِرَ هنا ، وسيأتي كلامه بتمامه في ذِكرٍ أقوال السابقين في الباب، والله الموفق.
وراجع أيضًا كلامَ الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله الآتي إنْ شاء الله في آخر أقوال السابقين ، وكذا كلام الشيخ الفوزان حفظه الله الآتي إِنْ شاء الله في أقوال أهل العصر.

[3] () انظر: «تفسير الطبري» (14/94-95 ، ط: المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة) ، و«الجامع» للقرطبي (10/94-96).

[1] () وانظر في تفسير هذه الآيات: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (11/6 – 8).

[2] ()«تفسير الطبري» (15/268).

[3] () هكذا في سياق الطبري إشارةً إلى قوله تعالى: [illegible].

-

قال الإمام الشنقيطيُّ رحمه الله تعالى:

«والتحقيق: أنَّ الآية نازلة في الكفار الذين يعتقدون أنَّ كفرهم صواب وحق ، وأنَّ فيه رضَى رَبِّهم؛ كما قال عن عَبَدَةِ الأوثان:

والدليل على نزولها في الكفار: تصريحه تعالى بذلك في قوله بعده ، يليه: أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ الآية [الكهف:105].

فقول مَنْ قال: إنّهم الكفار, وقول مَن قال: إنهم الرهبان ، وقول مَن قال: إنهم أهل الكتاب الكافرون بالنبيِّ

وقد روى البخاري في صحيحه[1] عن سعد بن أبي وقاص أنَّه سأله ابنُه مصعبٌ عن الأخسرين أعمالاً في هذه الآية: هل هم الحرورية؟ فقال: لا؛ هم اليهود والنصارى. أما اليهود فكفروا بمحمدٍ . وأما النصارى فكفروا بالجنة, وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب. والحرورية الذين ينقصون عهد الله مِن بعد ميثاقه ، وكان سعدٌ يُسمِّيهم الفاسقين أهـ من البخاري.

وما رُوِيَ عن عليٍّ مِن أَنّهم أهل حروراء المعروفون بالحروريين؛ معناه: أنهم يكون فيهم مِن معنى الآية بقَدْر ما فعلوا؛ لأنهم يرتكبون أمورًا شنيعة مِن الضلال ، ويعتقدون أنها هي معنى الكتاب والسنة؛ فقد ضلَّ سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وإنْ كانوا في ذلك أقلّ مِن الكفار المجاهرين؛ لأنَّ العِبْرَةَ بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب؛ كما قدَّمنا إيضاحه وأدلته[2]» أهـ

قال الشنقيطيُّ رحمه الله:

«وقوله في هذه الآية الكريمة:

والله تعالى أعلم.

وهذا آخر ما أردنا إيراده:

---

[1] برقم (4728).
[2] «أضواء البيان» (4/146 ـ 147).
[3] «الأضواء» (4/148).

[1] «تفسير الطبري» (16/35).
[2] «تفسير البغوي» (5/211).
وبنحوه ابن الجوزي كما يأتي عقبه هنا.
[3] () «زاد المسير» (5/198).
[4] «التفسير الكبير» للفخر الرازي (21/148).
[5] «تفسير القرآن العظيم» (3/105).
[6] «نظم الدرر» للبقاعي (12/149).

[1] «تفسير الطبري» (21/25 ـ ط: دار الفكر).
[2] «الجامع» للقرطبي (14/10).

[illegible]

[illegible][1] [illegible][2] [illegible]

[illegible]: «[illegible]».

[illegible]:

«[illegible][4] [illegible].

[illegible]

[illegible] - [illegible] – [illegible]: [illegible]»[illegible]

[illegible]:

«[illegible]: [illegible]: [illegible]: [illegible]: [illegible]: [illegible]: [illegible]: [illegible]».

[illegible]:

«- [illegible] .

- [illegible]»[illegible]

[illegible].

[illegible]:

«[illegible] -:

[illegible].

[illegible]:

---

[1] «زاد المسير» لابن الجوزي (6/291).

[2] «الجامع» للقرطبي (14/10).

[3] «زاد المسير» لابن الجوزي (6/291).

[4] وبهذا أيضًا فسَّره القاسمي في «تفسيره» (12/4769).

[5] «تفسير ابن كثير» (3/412).

[6] «أيسر التفاسير» للشيخ أبي بكرٍ الجزائري (4/162 ـ 163).

[1] «أضواء البيان» (7/222-224).
وانظر: «التفسير الكبير» للرازي عفا الله عنه (27/224) ، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير رحمه الله (4/150 ـ 151).

[1] «تفسير الطبرى» (25/158).
[2] «الجامع» للقرطبي رحمه الله (16/176-177).
[3] «أيسر التفاسير» للجزائري حفظه الله (5/42).
[4] () المصدر السابق (5/43).

فصلٌ

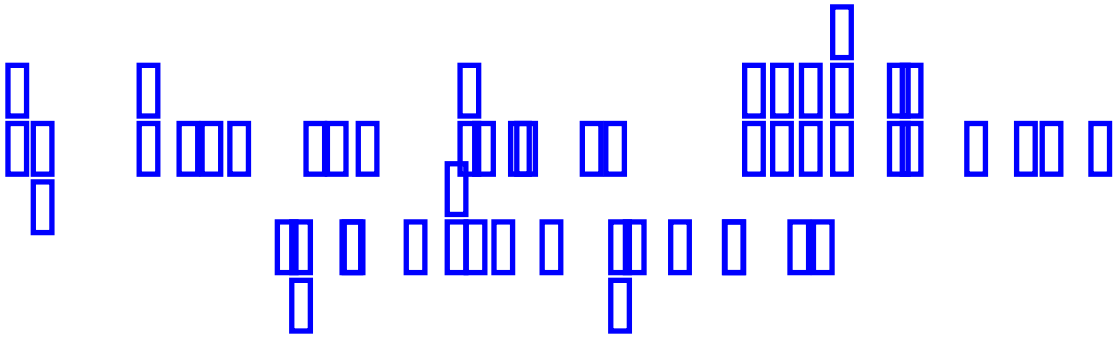

والجمعُ بين تعظيم الله تعالى وبين الاستهزاء به أو برسله أو بآياته أو بكلامه: محالٌ.

ولذا كان الاستهزاء بآيات الله كفرٌ مُوجِبٌ للعذاب ، مُسْتَحِقٌّ للعقوبة.

ويدلُّ على ذلك أيضًا: اقترانُ الاستهزاء بالكفر في سياق واحدٍ في الآيات السابقة ، مع اتحاد العقوبة عليهما؛ وهذا دالٌّ على التسوية بينهما في الحكم ، ومُؤَكِّدٌ أنَّ الاستهزاءَ بآيات الله

[illegible]

2 - أنَّ الجدّ والهزل في الاستهزاءِ بآيات الله سواءٌ في الكفرِ والعقوبة.

3 – لا يُقْبَلُ اعتذار مَنْ كَفَرَ بأيِّ وجهٍ؛ وإنما التوبة ، أو السيف ، فيُقْتَلُ كفرًا[1].

4 – أنّ الرّضى بهذا الكفر - أو غيره مِن أنواع الكفرِ -: كفرٌ أيضًا.

5 - ضرورة اجتناب الكافرين ، والمستهزئين بدين الله وآياته ، وتَرْك موالاتهم ، وإعْمال كافَّة أحكام البراءة مِن الكافرين فيهم ، والإنكار عليهم ، ومقاومتهم بكافة السُّبُل المتاحة ، سواءٌ صدرَ الاستهزاء مِن بعض المنتمين إلى الإسلام أو مِنْ غيرهم مِن الكفار والمشركين الأصليين.

6 - أنَّ الأمر باجتناب المستهزئين بالقرآن أو الدين لمجرد استهزائهم يدلُّ على شناعة الاستهزاء بالقرآن أو بالدين ، سواءٌ في الحكمِ أو العقوبة.

7 - أنَّ الاستهزاءَ بالدين مِنَ شِيَم الكفار والمشركين ، مِن اليهود والنصارى وغيرهم ، كما سيأتي مزيدُ بيانٍ لهذا ، ومَنْ تشبَّه بقومٍ فهو منهم.

8 - أنَّ ذلك سببٌ للخذلان ، وسبيلٌ إلى العقوبة في الدنيا بالقتلِ ، وفي الآخرةِ بالعذاب الأليم.

9 - وساق الإمام ابنُ جريرٍ الطبريُّ رحمه الله - في تفسير الآية السابق ذِكْرها مِن سورة المائدة - عن السُّدِّي قوله:

«﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوًا ولعبًا﴾ [المائدة: 58]: كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سَمِعَ المنادي ينادي: (أشهد أنَّ محمدًا رسول الله) قال: حُرِّق الكاذب!

---

[1] () وقد مضى ذلك صريحًا في كلام الشيخ أبي بكرٍ الجزائري حفظه الله ، وسيأتي نحوه في كلام ابنِ حزمٍ رحمه الله ، وسيأتي كلامه بتمامه إنْ شاء الله في ذِكْر أقوال السابقين في الباب؛ والله الموفق.
وراجع أيضًا كلام الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله الآتي إنْ شاء الله في آخر أقوال السابقين ، وكذا كلام الشيخ الفوزان حفظه الله الآتي إنْ شاء الله في أقوال أهل العصر.
ومضى نحو هذا المعنى في كلام غير واحدٍ من أهل العلم؛ والله الموفِّق.

فدخَلَتْ خادمه ذات ليلة مِن الليالي بنارٍ - وهو نائمٌ وأهله نيام - فسقطتْ شرارةٌ فأَحْرَقَتِ البيتَ ، فاحْتَرَقَ هو وأهله[1]»أهـ

وذكر القرطبي رحمه الله حكاية هذا النصراني؛ فقال:

«رُوِيَ أنَّ رجلاً من النصارى وكان بالمدينة إذا سَمِعَ المؤذِّن يقول: (أشهد أن محمدًا رسول الله) قال: حُرِّق الكاذب؛ فسقطتْ في بيته شرارةٌ مِن نار - وهو نائمٌ - فَتَعَلَّقَتْ بالبيت فأحرقَتْه وأَحْرَقَتْ ذلك الكافر معه؛ فكانت عِبْرَةً لِلْخَلْقِ (والبلاءُ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ) ، وقد كانوا يُمْهَلُون مع النبيِّ حتى يَسْتَفْتِحُوا؛ فلا يُؤَخَّروا بعد ذلك؛ ذكره ابن العربي[2]»أهـ

فتأَمَّل كيف أنزل الله بالنصراني مِنْ جِنْس ما تمنَّاه للنبي ، وسقاه مِن نفس الكأس التي أرادها للرسول ، والجزاء مِنْ جنْس العمل.

فمَن استهزأ بالآيات القرآنية اليوم؛ وَجَدَ مَنْ يسقيه مِنْ نفسِ كأسِه في الدنيا رغمًا عن أنفه ، ثم استُهْزِأ به غدًا في نارِ جهنم ، يوم يحمل أَوْزَرَاه على عاتِقِه كاملةً ، ومِنْ أوزَارِ الذين يُضلُّهم بعمله ، ويجرفهم في تياره.

ومَنْ سبَّ كتاب الله؛ سُبَّ في الدنيا والآخرة ، وأُدْخِل النارَ مع الدَّاخلين.

فلْيَنْظُر السابّ أين هو؟ ولْيعْتَبِر مِن مصيره ، لعلَّ ذلك يردعه ، فيعود إلى رُشْدِه ، ويتوب إلى ربِّه ، قبل أنْ يحلّ به ما لا يقدر على دفعه أو الهرب منه ، وإنَّ ربَّكَ لبلمرصاد.

---

[1] «تفسير الطبري» (10/428 فما بعد ـ تحقيق آل شاكر).
[2] «الجامع لأحكام القرآن» (6/233).

فصلٌ

في ذِكْرِ بعض الآيات الدَّالة على أنَّ الاستهزاء بآياتِ الله تعالى مِنْ مِلَلِ أهلِ الكفرِ وصِفَاتِهِمْ

وقد وردَ ذلك في غير موضعٍ من آيِ الذِّكْرِ الحكيم؛ فمِنْ ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا(4)وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان:4-5].
- وقوله ﷻ:﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت: 47].

والاستهزاء لا يصدر إلا عن جحودٍ لآياتِ الكتاب.

- وقوله ﷻ:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(46)فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ(47)وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:46-48].

وهذا يدلُّ على أنَّ الاستهزاءَ بآياتِ الله ﷻ سبيلٌ فرعونيٌّ قديم ، وأنَّ فاعِله متَّبِعٌ لسبيل فرعون القديم.

- وقوله ﷻ:﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ(7)أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ

شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف: 7-8].

- **وقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(10)وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف:10-11].**
- **وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف:26].**

فصلٌ

في ذِكْر بعض أقوال العلماء السابقين فيمَنْ سَبَّ القرآن ، أو استهزأ

وقد تَنَاَقَلَ العلماء مِن أهل الإسلام تعظيم شعائر الدين وكُفر مَن طعن فيه ، أو استهزأ بشيء منه ، سواءٌ استهزأ بالله أو ببعض صفاته؛ كالكلام, أو برسوله ، أو بأحدٍ من الأنبياء السابقين عليه بكتابه الكريم وآياته الخالدة ببعض كُتُبِه.

وحكى غير واحد الإجماعَ على كفر المستهزأ والتلفُّظ.

وذكر طائفة من الفقهاء؛ بحيث ذكر الشيخ الإمام الحافظ إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ ، المعروف بـ رَاهَوَيْه رحمه الله تعالى

شيئًا[1]

---

[1] () «الصارم المسلول» لشيخ الإسلام (ص/512).
ونقل ابنُ عبد البر رحمه الله في «التمهيد» (4/226) ذلك أيضًا عن ابن راهويه.

[illegible]

وراجع تعليق الشيخ الإمام عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب على كلام ابن راهويه المذكور رحمهم الله جميعًا ، وسيأتي ذلك في آخر هذا الفصل إِنْ شاء الله تعالى.

[1] () يعني: أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وهم الحنابلة ، وليس المراد أصحاب الشافعي ، والسياق ظاهرٌ في ذلك؛ ذكرتُه خشية الالتباس؛ والله أعلم.

[2] ()«الصارم المسلول» (ص/513).

[3] () يعني: المنافقين – لعنهم الله.

[4] ()«أحكام القرآن» للجَصَّاص (3/183- ط: دار الكتب العلمية).

[illegible]

1 ()«الفِصَل في الْمِلَلِ والنِّحَل» لابن حزم (3/114- ط: مكتبة الخانجي بالقاهرة).

2 «الفِصَل» (2/139) ، ونقله عنه القاسميُّ في «تفسيره» (8/3194) في تفسير آية سورة «التوبة» [66].

وقال ابنُ حزمٍ في «المحلى» أيضًا (4/159 مسألة 466): «ومَنْ أَحَالَ القرآنَ متعمِّدًا: فقد كفر ، وهذا ما لا خلاف فيه. ومَن كانت لغته غير العربية: جاز له أنْ يدعو في صلاته ، ولا يجوز له أنْ يقرأ بها ، ومَنْ قرأ بغير العربية: فلا صلاة له... » ، واستطردَ ابنُ حزمٍ في الرَّدِّ على أبي حنيفة في إجازته قراءة القرآن بالفارسية؛ فراجعه.

[illegible]

[illegible][1]»

[illegible]:

«[illegible]... [2]».

[illegible]:

«[illegible]

[illegible]:

[illegible][3]».

[illegible]:

«[illegible]

[illegible][4]»

[illegible]

[illegible]

رحمه الله تعالى

قال القاضي عياض رحمه الله:

«وكذلك مَن أنكرَ القرآنَ ، أو حرفًا منه ، أو غَيَّرَ شيئًا منه, أو زَادَ فيه؛ كفِعْل الباطنيّة والإسماعيليّة, أو زَعَمَ أنَّه ليس بحُجَّةٍ للنبيِّ

[illegible]:

[illegible]

---

1 ()«الفِصَل» (3/142).

2 ()«المحلى» (11/411 مسألة 2308 – ط: دار الجيل)؛ وراجعه.

3 () السابق (11/413 مسألة 2308)؛ وراجعه.

4 ()«السابق» (1/13 مسألة 21).

[1] () «الشفا» للقاضي عياض (2/250-251).

[2] () ورد هذا الحديث مِن غير وجهٍ عن أبي هريرة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم.
وصحَّحَهُ الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (1163) (4444) (6687).

[3] () ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (5542).

[1] () يعني: الشاهدين.
[2] () أَوْرَدَهُ البيهقي في «السنن الكبرى» (10/43).
[3] () وهو القابِسي.
[4] () يعني مَنْ لعَنَ الصبي.
[5] () السابق (2/263-265).

[illegible]

«زاد المسير» (3 /465).

«روح المعاني» للإمام الآلوسي (10/131).

يعني: كيف كان شكل هذا الاستهزاء أو وجهه ، وسواءٌ كان استهزاءً بالله ، أو برسوله [illegible].

«التفسير الكبير» للرازي (16/ 98).

«أحكام القرآن» للهرَّاسي (3/214 – ط: دار الكتب العلمية).

[1] «أحكام القرآن» لابن العربي (2/976-977).
ونقله عنه القرطبيُّ في «الجامع لأحكام القرآن» (8/197).

[2] () «المجموع شرح المهذّب» للنووي (3/363 – ط: مكتبة الإرشاد بجدة).

[illegible][1] [illegible]
[illegible] «[illegible][2]»[illegible]
[illegible] «[illegible]»:
«[illegible] [illegible]: [illegible][3] [illegible]
[illegible]: [illegible]»[4].
[illegible]:
«[illegible]: [illegible]»[5]

[illegible]

[illegible]:
«[illegible]:

---

[1] يعنى: التوبة مِن الرِّدَّة ومُرَاجَعَة الإسلام.
[2] «المغني» لابن قدامة (12/154- ط: دار الحديث).
[3] قال الشيخ الإمام بهاء الدين المقدسي رحمه الله في شرح ذلك: «والذي يخفى عليه ذلك: مَنْ يكون حديثَ عَهْدٍ بالإسلام ، أو يكون قد نشأ ببلادٍ بعيدةٍ عن المسلمين؛ فهذا يُعَرَّف؛ فإنْ رَجَعَ عن ذلك وإلَّا قُتِلَ. وأمَّا مَنْ كانَ ناشئًا بين المسلمين مسلمًا: فهو كافرٌ يُسْتَتَاب؛ فإنْ تابَ وإلا قُتِلَ؛ وذلكَ لأنَّ إقْرَارَ هذه الأشياء ظاهرٌ في الكتاب والسُّنَّة ، فالْمُخِلِّ بها مُكذِّبٌ لله ورسولهِ؛ فيكفر بذلك كما قلنا في جاحدِ أركان الإسلام»أهـ
[4] انظر «العُدَّة شرح العُمْدَة» (ص/579 – 580 – ط: دار إحياء الكتب العربية).
وقد أيَّدَ كلامَ ابنِ قُدَامَة وشَرَحَهُ: الإمام بهاءُ الدِّين المقدسي رحمه الله في «شرح العمدة».
[5] انظر «العُدَّة شرح العُمْدَة» (ص/579 – 58. – ط: دار إحياء الكتب العربية).
وقد أيَّدَ كلام ابنِ قُدَامَة وشَرَحَهُ: الإمام بهاءُ الدِّين المقدسي رحمه الله في «شرح العمدة».

[illegible]

1 «الشرح الكبير» (12/103 -104) ، بحاشية «المغنى» ، ط: دار الحديث.

2 ومنها القرآن الذي هو كلامه [illegible]

3 () سواءٌ سبَّ ذاته أو سبَّ بعض صفاته.

4 «المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل» للشيخ الإمام مجد الدين رحمه الله (2/167-ط: دار الكتاب العربى ببيروت).

5 () أو استهزأ.

6 () أو الاستهزاء.

7 () «الفتاوى» (12/7).

فائدة؛

[1] () «مجموع الفتاوى» (15/33).

[2] يعنى: المولى سبحانه وتعالى.

[3] «مجموع الفتاوى» (7/220).

[4] () قال المرداوي رحمه الله (ت 885) في «تصحيح الفروع» (ط: بحاشية الفروع):
«وقوله: (والأصح بحقٍّ): ينبغي أَنْ يكونَ هذا بلا نزاع» أهـ

[5] «الفروع» لابن مفلحٍ (6/157- 158).

[illegible]

[1] () الغَمْصُ: الاحتقار أو الاستصغار والعَيْب ، تقول: غمص فلانٌ فلانًا؛ إذا احتقره أو عابَه أو استصْغَرَهُ.

[2] () يعني: أنَّه ليس مُعْجِزًا؛ بل يُقْدَرُ على الإتْيان بمثْلِه ، ولا شكَّ في كفر مَن قال ذلك ولو هازِلاً

[3] السابق (6/161).

[4] قاله نظام الدين في تفسيره الذي اختصر فيه «التفسير الكبير» للرازي ، و ضمَّ إليه فوائد أخرى مِن «الكشاف» وغيره ، وأسْمَاهُ: «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (2/1624- ط: دار الصفوة بالقاهرة).

[5] انظر: «الروض المربع بشرح زاد المستقنع» (ص/393- ط: المكتبة الثقافية ببيروت).

[illegible]

[illegible]

[illegible]:

[illegible]

[illegible]

[illegible]:

[illegible]

[illegible]

[illegible]:

[illegible]

---

[1] يعنى: كفر أيضًا؛ وهو معطوف على كلام الحجاوي رحمه الله.

[2] السابق (ص/394).

[3] «كفاية الأخيار في حلِّ (غاية الاختصار») لتقي الدين رحمه الله (ص/737-738- ط: المكتبة التوفيقية).

[4] نقل ذلك الدكتور: محمد نعيم ياسين في كتابه «الإيمان» (ص/115- ط: مكتبة الزهراء بالقاهرة) نقلاً عن «الزواجر عن ارتكاب الكبائر» لابن حجر.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

[1] وذكر الإمام ابن عبد الوهاب رحمه الله هذه الآية في «كتاب التوحيد» وقال: «فيه مسائل: الأولى- وهي العظيمة-: أَنَّ مَن هَزَلَ بهذا: إنه كافر. الثانية: أَنَّ هذا هو تفسير الآية فيمَنْ فعل ذلك كائنًا مَن كان.....».
انظر: المصدر الآتي (1/117- 118).

[2] رسالة: «نواقض الإسلام» لابن عبد الوهاب نقلاً عن «مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» (1/386-387) (6/212-214) ، من منشورات جامعة الإمام محمد بن مسعود).

[3] () كذا السياق في «الأصل».

[4] انظر: «مختصر الإفادات في ربع العبادات والآداب وزيادات» (ص/514 - ط: دار البشائر الإسلامية. ط 1- 1419). بواسطة: «التوسط والاقتصاد»

(ص/99- ط: دار ابن القيم بالدمام).

[1] () يعني: الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في «كتاب التوحيد».

[1] «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ص/553- 554 ـ ط: مكتبة الرياض الحديثة بالرياض).

[2] () يعني: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

[illegible]

[1] () يعني: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

[2] انظر: «الجامع الفريد» (292 – 33) ، و«الدرر السنية» (1/.149 وما بعدها) جمع عبد الرحمن بن محمد بن القاسم ، الطبعة الخامسة 1413.
بواسطة «التوسط والاقتصاد» (ص/106- 108).

[3] يعنى: ابن تيميه رحمه الله وقد سبق كلامة الذي هنا؛ والله الموفق

[illegible]

1 ()«الدين الخالص» (546/4-547 ، ط: مكتبة الفرقان بمصر).
بواسطة «التوسط والاقتصاد» (ص/117-118).

2 «الروضة الندية شرح الدرر البهية» (627/2-629 ، ط: دار الهجرة بصنعاء ط 1-1411). بواسطة المصدر السابق ونفس الموضع.

3 () يعني: حدُّهُ حدّ المرتدّ.

[1] «تفسير المنار» (10/529-531 ، ط: دار المعرفة ، ط:1414).
بواسطة «التوسط والاقتصاد» (ص/122-123).

[illegible]

1 «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله (ص/181-182 ، ط: مكتبة السوادي للتوزيع ، ط 1 – 1408).
بواسطة «التوسط والاقتصاد» (ص/124 – 125).

(1) «الفتاوى الإسلامية مِن دار الإفتاء المصرية» والتي نشرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالتعاون مع وزارة الأوقاف ودار الإفتاء المصريتين (1/46-47 رقم 4).

[2] () وكذا صفات الله عز وجل ، ومنها القرآن الذي هو كلام الله سبحانه وتعالى ووحْيه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم.

[1] () المصدر السابق (1631/5-1632).

سُئِلَ الشيخ رحمه الله:

مِن المجلس الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة بكتابه رقم 12/2/ب (203) ، المؤرَّخ 2 من ذي الحجة 1392 ، الموافق 6يناير سنة 1973 ، والمقيد برقم 63-1973 ، المتضمن أَنَّ المجلس عَلِمَ بأَنَّ الحكومة بصدد طبع عملة جديدة للدولة كُتِبَ عليها الآية القرآنية الكريمة: ﴿واعتصموا بحبل اللّه جميعا ولا تفرقوا﴾ [آل عمران:103] ، وطلب بيان الحكم الشرعي في جواز طبع آية مِن آيات القرآن الكريم على العملة التي تصدرها الدولة ، عِلْمًا بأن عملة الدولة يحملها ويتداولها المسلم والكافر ، ويُشْتَرَى بها الحلال والحرام ، وتُسْتَعْمَلُ في غير ما أحلَّه اللّه ، وتُحْمَلُ إلى أماكن غير طاهرة؟

فأجابَ الشيخ رحمه الله بقوله:

«نفيد بأَنَّ القرآن كلام اللّه ﷻ ، وكما يُطلق القرآن على كل ما بين دفتي المصحف يطلق على السورة والآية منه.

والقرآن كتاب تَعَبُّدٍ وهداية وإرشاد للبشر ، كما فيه سعادتهم في الدارين (الدنيا والآخرة) مِن عبادات ومعاملات وأخلاق.

ولذلك يجب تقديسه وتكريمه والبُعْد عن كل ما يخل بشيء مِن ذلك[1].

ولذلك لم يُجز الفقهاءُ لِلْمُحْدِثِ حَدَثًا أصغر (غير المتوضئ) ولا الْمُحْدِث حَدَثًا أكبر (الجنب) والحائض والنفساء مَسّ القرآن ، ولا شيء مِن آياته؛ إلا بغلافٍ منفصل؛ لقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (لا يمس القرآن إلاَّ طاهر) ، وأجازوا ذلك للضرورة كدفع اللوح أو المصحف إلى الصبيان؛ لأن في المنع مِن ذلك تضييع حفظ القرآن ، وفي الأمر بالتطهير حرج عليهم ، كما نصوا على كراهة كتابة القرآن وأسماء اللّه تعالى على الدراهم والمحاريب والجدران وكل ما يفرش (الهداية وفتح القدير ج 1).

---

[1] () ومِن ذلك: البُعْد عن إهانته والاستهزاء به ، أو ببعض آياته وأحكامه ، ونحو ذلك.

ومما ذُكِرَ يتبين أَنَّه يُكْرَه كتابة شيءٍ مِن القرآن على الدراهم والدنانير؛ لأن في ذلك تعريضًا لمسِّها أثناء تداولها مِن الجنب والحائض والنفساء والْمُحْدِث وغيرهم ، وليس هناك ضرورة تدعو إلى ذلك ، فيكون الأحوط في المحافظة على القرآن وآياته: البُعْد به عن كل ما يخل بتقديسه وتكريمه أو الوقوع في الممنوع بسبب مسّه ممن هو غير طاهر أثناء تداوله[2]»أهـ

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء
بالمملكة العربية السعودية

سُئِلَت اللجنة الدائمة للإفتاء – بالملكة العربية السعودية – عن حكم رجلٍ يسب آيات القرآن والأحاديث.

وهذا نص السؤال: إنَّ والد السائل يعمل في وظيفة حكومية بمصر ، ويأخذ رشوة ، ويسب آيات القرآن والأحاديث ، وإذا ذُكِر عنده آيات الحجاب قال: اتركوا التعصب ، ويُصلي أحيانًا في المسجد ، وأحيانًا في غيره، وقد يجمع بين الصلوات ، أمَّا أُمُّه فلا تُصلِّي ، ولكن له أخوات يُصلِّين ، ويسأل: هل يحق لي أنْ أعيشَ معهم ، وما حكم الأكل والمعيشة مِنْ مالِ الوالد؟ أفتوني.

فأجابت اللجنة بقولها:

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه... وبعد:

سَبّ آيات القرآن والأحاديث الثابتة كفرٌ ، يُخْرج مِن الإسلام ، وترك الصلاة عمدًا كفرٌ أيضًا ، وأخذ الرشوة مِن كبائر الذنوب ، فعليك:

أولاً: أن تنصح لوالديك في أداء الصلوات الخمس في أوقاتها ، وأن تنصح الوالد في ضبط لسانه عن السب عامة ، وعن سَبّ القرآن والحديث والاستهتار بالحجاب خاصة ، وبترك الرشوة ، فإن استجاب والدك للنصيحة فالحمد لله؛ وإلاَّ فاسْتَمِرّ في نصيحتهما والإحسان إليهما لعل الله يهديهما بأسبابك ، ولا تخالطهما مخالطةً تضرك في دينك ، ولا تؤذهما؛ بل صاحبهما في الدنيا بالمعروف ، وتابع النصيحة لأخواتك خشية أن يصيبهن فتنة بمعاشرتهما.

---

[2] () المصدر السابق (1633/5-1634 رقم 715).

ثانيًا: إن لم يكن لوالدك دخلٌ إلا الكسب الحرام فلا تأكل منه ، وإنْ كان ماله خليطًا مِن الحرام والحلال: جاز لك أن تأكل منه على الصحيح مِن أقوال العلماء ، وإنْ أمكن أن تستعفّ عنه فهو خيرٌ لك.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	**عضو**
عبد الله بن قعود	**عبد الله بن غديان**
نائب رئيس اللجنة	**الرئيس**
عبد الرازق عفيفى	**عبد العزيز عبد الله بن باز[1]»أهـ**

وسُئِلت اللجنة: عن رجلٍ لا يؤمن بالقرآن الكريم - أو بآيةٍ واحدة منة - فهل يُعَدُّ كافرًا؟

فأجابت بقولها:

«مَن قال: لا يؤمن بالقرآن الكريم أو بآيه واحدة ، أو أنه يؤمن بعقله فقط دون الشرع؛ فإنه يُبَيَّنُ له أنَّ هذا كفرٌ ، فإنْ أصَرَّ على مقالته فهو كافرٌ مرتدٌّ عن الإسلام ، يُسْتَتَاب مِن جهةِ ولاة الأمور؛ فإنْ تاب وإلاَّ قُتِلَ مرتدًا؛ لأن الإيمانَ بالقرآن ركنٌ مِن أركان الإيمان ، وجحد آية منه كجحده كله لا فرق في ذلك ، ومَن اقتصر على عقلِه وَرَدَّ ما جاء مِن الشرع فقد كفر بالقرآن الكريم و بالرسول ﷺ.

[illegible]

[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible][1]» [illegible]

[illegible]:

---

[1] فتوى رقم (3255) نقلا عن «فتاوى اللجنة الدائمة» جمع الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش (2/6).

[2] فتوى رقم (5628) نقلاً عن المصدر السابق (2/7-8).

[1] السؤال الخامس من الفتوى رقم (9220) نقلاً عن المصدر السابق (2/11).

[1] «الفتاوى» (ص/28-29 رقم 19 ، ط: أولى 1414-1993م ، ط: دار التقوى للنشر والتوزيع- بلبيس- الشرقية ـ مصر).

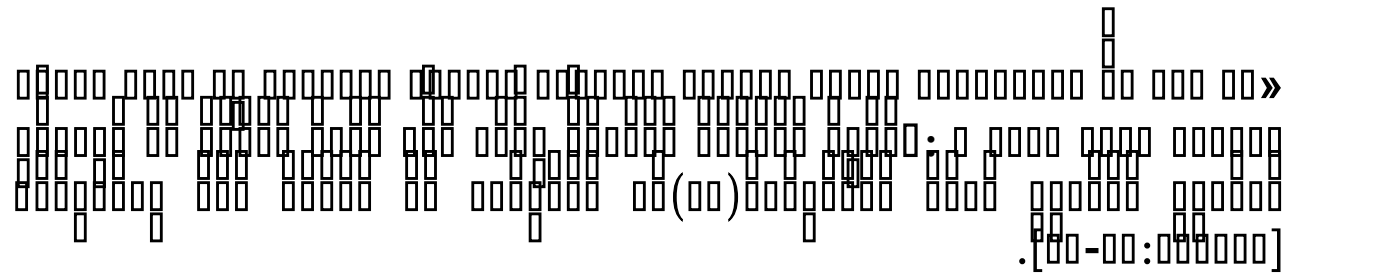

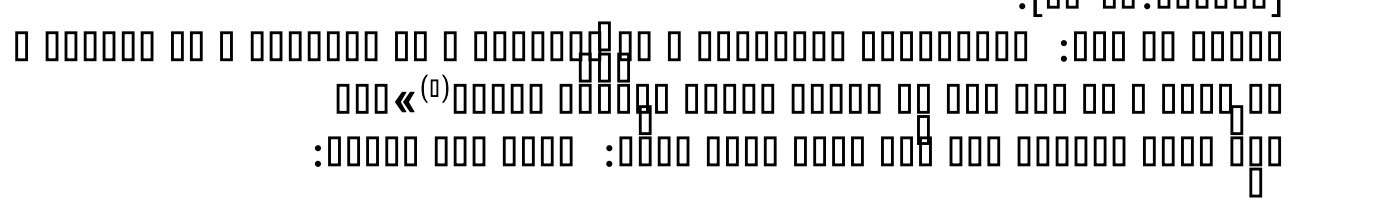

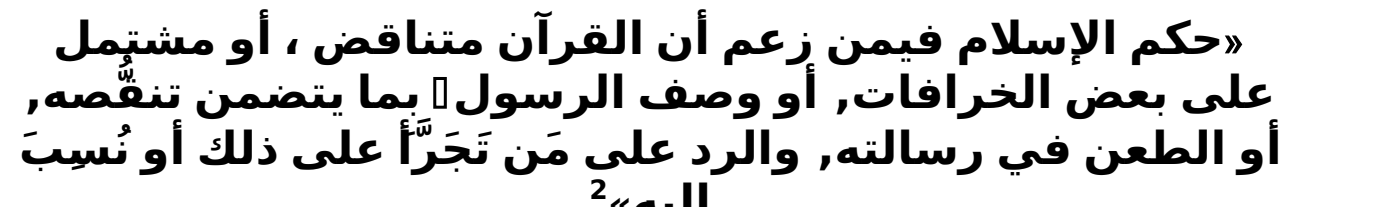

«حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض ، أو مشتمل على بعض الخرافات, أو وصف الرسول ﷺ بما يتضمن تنقُّصه, أو الطعن في رسالته, والرد على مَن تَجَرَّأ على ذلك أو نُسِبَ إليه»[2]

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، أما بعد: فقد نشرت صحيفة الشهاب اللبنانية في عددها الصادر في 23ربيع الأول سنة 1394هـ ، الموافق 1 نيسان سنة 1974م ، فقرات خطيرة مِن كلام مسئول كبير, ألقاه في إحدى المناسبات, حول الثقافة الذاتية والوعي القومي, يتضمن الطعن في القرآن الكريم بأنه متناقض ، ومشتمل على بعض الخرافات, مع وصف الرسول محمد ﷺ

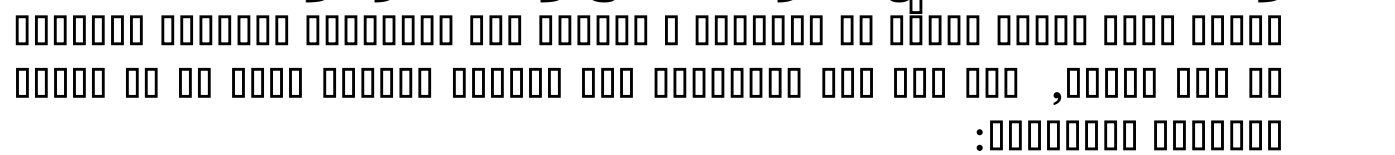

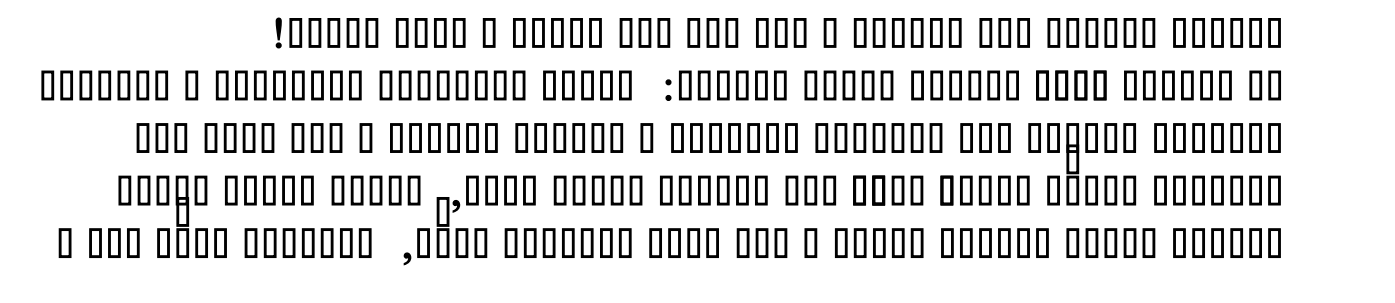

---

[1] () «تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلَّق بأركان الإسلام» للإمام ابن باز رحمه الله (ص/39 رقم 7).

[2] صدرت في نشرةٍ طبعتها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم 9.

نقلًا عن كتاب: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للشيخ ابن باز ، جمع وإشراف: د. محمد بن سعد الشويعر (1/82 – فما بعد ، ط: دار عالم الكتب بالرياض).

□□ □□□□

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[1] تابع المصدر والموضع السابق.

[1] () هكذا في «الأصل» ، ولعل المراد: «وقال» بالواو قبلها.

[illegible]

(ذِكْر كلام العلماء فيمن طعن في القرآن الكريم, أو الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم ، أو استهزأ بهما,أو سَبّ الله, أو الرسول ﷺ)[1]

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي فـي تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» عند تفسير هذه الآية مـا نصـه: «قال القاضي: أبو بكر ابن العربـي: لا يخلـو أن يكـون مـا قـالوه في ذلك جدًّا أو هزلًا وهو كيفما كان كفرٌ, فإنَّ الهزل بالكفر كفرٌ لا خلاف فيه بين الأمة» انتهى المقصود.

وقال القاضي عياض بن موسى رحمه الله في كتابه «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» ص 325 ما نصه: «واعلم أنَّ مَن استخف بالقرآن أو المصحف ، أو بشيء منه ، أو سبهما ، أو جحده ، أو حرفًا منه ، أو آية ، أو كذب به ، أو بشيءٍ مما صرح به فيه مِن حكمٍ, أو خَبَر ، أو أَثْبَتَ ما نفاهُ أو نفى ما أثبته ، على عِلْمٍ منه بذلك ، أو شكَّ في شيءٍ من ذلك - فهو كافر عند أهل العلم بإجماع, قال الله تعالى: [illegible]

[illegible]

() تابع لما قبله نقلاً عن المصدر والموضع السابق.

[1] () يعني: ابن تيمية.

[illegible]

[1] () ثم استطرد الشيخ ابن باز رحمه الله في «كشف الشُّبه المذكورة في الكلام المنسوب إلى القائلين به», والسابق ذِكْره في أول الأمر نقلًا عن الصحيفة المشار إليها سابقًا.

[2] () نُشِرَ هذا الموضوع في مجلة البحوث الإسلامية بالرياض ، العدد السابع ، الصادر في الأشهر [رجب وشعبان ورمضان وشوال عام 1403هـ].

نقلاً عن المصدر السابق (1/130 – 132).

[illegible].

[illegible]: [illegible] [illegible] [illegible]

[1] () يعني: كلام الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

[2] () وانظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للشيخ ابن باز رحمه الله (1/271) (5/133 – 135).

[illegible]

[1] ()«فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرازق عفيفي رحمه الله تعالى» (ص/372 رقم 79 – 80 / إعداد: وليد بن إدريس والسعيد بن صابر ، ط: دار الفضيلة ودار ابن حزم).

[2] ()«فقه السنة» للشيخ سيد سابق رحمه الله(2/603 – 604 ، ط: دار الريان للتراث ، الطبعة الثانية 1411 – 1990م).

[1] ()«مجموع الفتاوى» للشيخ بن عثيمين رحمه الله (2/156 - ط: دار الوطن ، ط 1 – 1412).
بواسطة: «التوسط والاقتصاد» للشيخ علوي السقاف حفظه الله (ص/138).

[2] ()«أيسر التفاسير» للجزائري (2/390 – 391).
وانظر منه أيضًا: (4/162 – 163) (5/43).

[3] () يعني: الآيات [65-66] مِن سورة التوبة ، وسيأتي ذِكْرهما أثناء كلام الشيخ حفظه الله تعالى.

[1] ()«الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» (ص/80 – 81 ، ط: دار الذخائر ، ط: 1414)0 بواسطة: «التوسط و الاقتصاد» للشيخ علوي السقاف حفظه الله (ص/143 –144).

[2] () وقع في المصدر المذكور: «وتركه» بواو العطف ، والظاهر ما أثبتّ؛ والله أعلم.

[3] () في المطبوع من المصدر المذكور: «ورق» بلا هاء؛ والظاهر ما أثبتّ؛ والله أعلم.

[4] ()«الفقه على المذاهب الأربعة» للجزيري أثابه الله (5/331 – ط: دار الحديث).

[illegible]

---

(1) «الإيمان» للشيخ الزنداني حفظه الله (ص/148 – 149 ، ط: مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت).

(2) «الإيمان» د. محمد نعيم ياسين (ص/104 ـ ط: مكتبة الزهراء بالقاهرة).

(3) السابق (ص/105).

[illegible]

في كفر المغني ....

سُئِلَ «فضيلة الشيخ حمود بـن عقلاء الشـعيبي حفظـه اللـه تعالى:

---

[4] السابق ، ونفس الموضع.

[2] السابق (ص/114).

[3] الثاني من مظاهر كُره الإسلام كما سبق قريبًا.

لا زلنا يا شيخنا الفاضل نسمع مِن دهاقنة الفسـق والضـلال مـا يـدمي القلـوب ويفـت الأكبـاد مِـن اسـتهزاءٍ بـالله وبآيـاته وبرسوله ، والذي من آخرها ما قام به المـاجن ... حينمـا غنـى بسـورة الفاتحـة[1] ، ومـع ذلـك لـم نَـرَ لهـؤلاء مَـن يردعهـم ويوقفهم عند حدهم ويقيم فيهم حكم الله تعالى ، نرجوا منكم يا فضيلة الشيخ أن تبينوا السبيل في هذه المعضلة ، رفع اللـه قدركم و أعلى منـزلتكم.

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الاسـتهزاء بـالله وآيـاته ورسـوله خُلُـق تخلَّـق بـه أعـداء الإسـلام مِـن يهـود ونصـارى ومنـافقين وعلمـانيين ومغنيـن وصحافيين وزنادقة وغيرهـم ، وعَمِـلَ هـؤلاء علـى نشـره عـن طريق هؤلاء السفهاء الذين تَبَيَّنَ كفرهـم مِـن فعلهـم ، والـذي دفعهم لذلك: حبُّ الاشتهار وتكثير المال ، حتى أنزل الله فيهم كتابًا يُتْلى إلى يوم القيامة؛ إذْ يقول سبحانه: ﴿ ﴾(٦٥) [- ٦٥].

وسببُ نزول هذه الآية في غزوة تبوك ، وقد نزلت في بعض المنافقين لما قالوا : ما رأينا مثل قُرَّائِنا هؤلاء أرغـب بطونًـا ، ولا أكذب أَلْسِنَةً ، ولا أجبن عند اللِّقاء.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما - كما في تفسير القرطـبي -: رأيتُ قائل هذه المقالة وديعة بن ثـابت متعلِّقًـا بحقـب ناقـة رسول الله صلى الله عليه وسلم يماشيها والحجارة تنكبه وهـو يقول: [ ] **والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:** [ ]**؟**

---

[1] () ذُكِرَ في الموقع الآتي عقب هذه الفتوى: «الملف الصوتي للـ... وهو يتغنى بآيات القرآن موجودٌ لدى الموقع ويمكن لطلبة العلم الحصول عليه بمراسلتنا».

ولا يشك عاقلٌ أنَّ ما يقوم به هؤلاء مِن تلحين وغناءٍ لآياتِ كتاب الله سبحانه وتعالى مِن الكفر الصراح؛ إذ الأمة أجْمَعَت على أنَّ مَن استهزأ بشيءٍ مِن الشرع إمَّا بكتابةٍ أو كلامٍ أو غناءٍ أو ما شابه ذلك أنَّ ذلك ردَّةٌ صريحة ، ولو لم يعلم صاحبه أنَّ ما فعله مِن الكفر[1] ، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتاوى (7/ 273) عند قوله تعالى [illegible] يقول: فدلَّ على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتَوْا كفرًا؛ بل ظنوا أنَّ ذلك ليس بكفر ، فبَيَّنَ أنَّ الاستهزاءَ بالله وآياته ورسوله كفرٌ يكفر به صاحبُه بعد إيمانه...أهـ

ويقول القاضي عياض رحمه الله تعالى في الشفاء (2/1101): اعلم أنَّ مَن استخفَّ بالقرآن أو المصحفِ أو بشيء منه أو سبهما أو جحده ... فهو كافرٌ عند أهل العلم بإجماع أهـ

وعَدَّ البهوتي رحمه الله تعالى في كشاف القناع (6/137) مِن نواقض الإسلام امتهان القرآن أو إسقاط حرمته وأنَّ ذلك كفرٌ أهـ

وذكر محمد بن إسماعيل الرشيد الحنفي في رسالة ألفاظ الكفر (ص 22) أنَّ الاستخفاف بالقرآن أو بالمسجد أو بنحوه مما يعظم في الشرع أَنَّه كفرٌ أهـ

وقد كفَّرَ الله سبحانه هؤلاء مع أنهم خرجوا غزاةً وقد تركوا أولادهم وأزواجهم وأهلهم وأوطانهم وفي وقتٍ شديد الحر وشديد العطش ومع هذا لم يشفع ذلك لهم وحُكِم[2] عليهم بالرِّدَّة عن الإسلام.

يقول الله عز وجل: ﴿وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم

---

[1] () يعني: لأَنَّ تقديس الله وكتابه وشرعه مركوزٌ في فِطْرَةِ الإنسان ، فلا يحتاج بعد ذلك إلى بيانٍ وعِلْم.
وقد مضى نحو هذا المعنى أيضًا في كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، أثناء «فصل: فيمَن سبَّ الله جلَّ جلالَه»؛ وبالله التوفيق.

[2] () هكذا في «الأصل» بضم أوله.

اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون [الجاثية:34-35].

ويقول تبارك وتعالى: وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين.. [الجاثية:9].

والاستهانة بكتاب الله استهانة بقائله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ كلامَ الله سبحانه صفةٌ مِن صفاته؛ إذ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

يقول النووي رحمه الله تعالى في روضة الطالبين (10/64): والأفعال الموجبة للكفر هي التي تصدر عن عَمْدٍ واستهزاءٍ بالدين صريح.

ونقل القرطبي في تفسيره وهو يشرح موقف المستهزئين في غزوة تبوك قول ابن العربي إذْ يقول: لا يخلو أنْ يكون ما قالوه مِن ذلك جادًّا أو هازلاً وهو كيفما كان كفرٌ؛ فإنَّ الهزلَ بالكفر كفرٌ ، ولا خلاف فيه بين الأمة ، فإنَّ التحقيق أخو العِلْم والحق ، والهزل أخو الباطل والجهل أهـ

وليُعْلَم أنَّ الله سبحانه وتعالى مَزَّقَ مُلْك الأكاسرة كلَّ مُمَزَّق وأزالَ مُلْكهم لمَّا سَخِروا بكتابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] ، فكيف بكتاب الله سبحانه وتعالى؟

وإنَّ الساكتين عن إقامةِ حدّ الله تعالى بهؤلاء وهم قادرون على ذلك أنهم مثلهم وجديرٌ أنْ يُمَزِّقَ الله حُكْمَهم ويُشَتِّتَ شَمْلهم كما فعل بغيرهم ، وهم بفِعْلِهمْ هذا شريكون في الإثم.

يقول الله سبحانه وتعالى: وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذن مثلهم .. الآية [النساء:140].

وأخيرا .. ليعلم الـ... وغيره أَنَّه بهذا الفعل ارْتَدَّ عن الإسلام وثبتَ كفره ، ويجب على ولي أمر البلد التي ينتمي إليها هذا

---

[1] () يعني: حين أَرْسَلَ إليهم النبي صلى الله عليه وسلم كُتُبَه يدعوهم إلى الإسلام.

المرتد وأمثاله أنْ ينفـذ فيـه حكـم اللـه تعـالى وهـو القتـل بلا استتابة؛ لأنَّه أصبحَ بفِعْلِه هذا زنديقًا ، والزنديق لا تُقْبَـلُ تـوبته عند العلماء؛ ولأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام أَهْدَرَ دمَ القينتين اللَّتَيْن كانتا تُغَنِّيَان بهجائه عليه الصلاة والسلام.

وإننا نهيب بعلماء الشريعة أنْ يقفوا صفًّا واحـدًا لإقامـةِ حـد الله في هذا الطاغوت وأمثاله وألَّا يتساهلوا في ذلك.

نسألُ الله جَلَّتْ قدرته أنْ ينصـرَ مَـنْ نَصـَرَ الـدِّين وأنْ يخـذلَ مَن خذلَ الدِّين ، إنَّه وحده القادر ، وصلى الله على نبينا محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ

أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

1/1/1422هـ[1]»أهـ

---

[1] () نُقِلَتْ هذه الفتوى مِن شبكة المعلومات «الإنترنت» عن موقع: www.alalafyoon.com

فصلٌ جامعٌ

ومما سبقَ يتبيّن أَنَّ مَن استهزأ بالقرآن ، أو بعضه ، ولو بآيةٍ منه؛ فقد كَفَرَ وارْتَـدَّ ، وحكـم علـى نفسـه بإهـدار دمـه؛ ذلـك إنْ كـان الفاعل ممن يُنسب إلـى الإسـلام ، فـإنْ كـان ذميًّـا نُقِـضَ عهـدُه وميثاقُه؛ لأنَّه لا أمان ولا عهد ولا ميثاق لذِمِّيٍّ سبَّ الله ، أو بعـض صفاته ، أو آياته ، أو رسوله ، أو استهزأ بالقرآن ، أو بعضـه ، ولـو بآيةٍ منه ، بأيِّ وجهٍ مِن الوجوه ، سواء كان ذلك بالكلام ، أو الفعل ، ولو بالإشارة ونحوها.

ولا فرق في ذلك بين الجدّ والهزل ، وهذا مما لا نزاع فيه بين أحدٍ مِن أئمة المسلمين ، على ما سبق نقل ذلك عنهم مِن غيرِ وجهٍ.

وهو مما عُلِمَ اضطرارًا مِن دين الإسلام ، وقد سبقت أدلتُـه فـي هذا الكتاب مفصَّلةً مُبَيَّنَةً؛ والحمد لله.

وتأكد ذلك مِن وجوه؛ منها:

- أن القرآن كلام الله

-

□ □□

□□ □□□ □□□ □□ □□□ □□□□ □□□□ □□□□

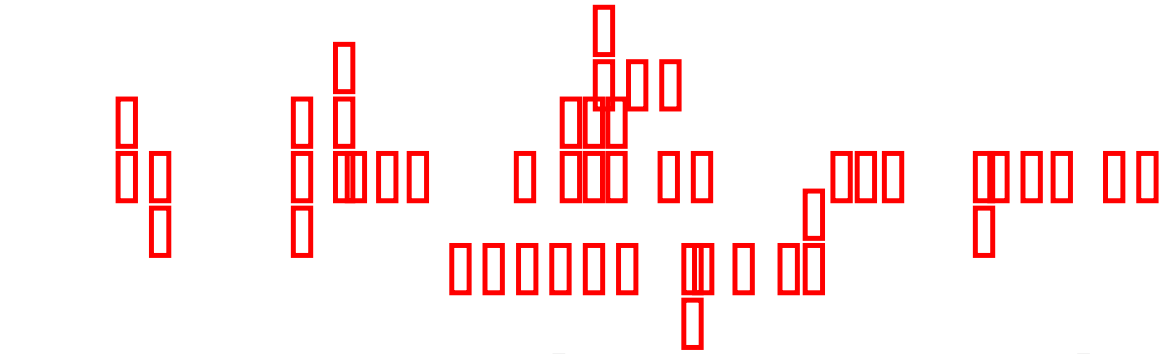

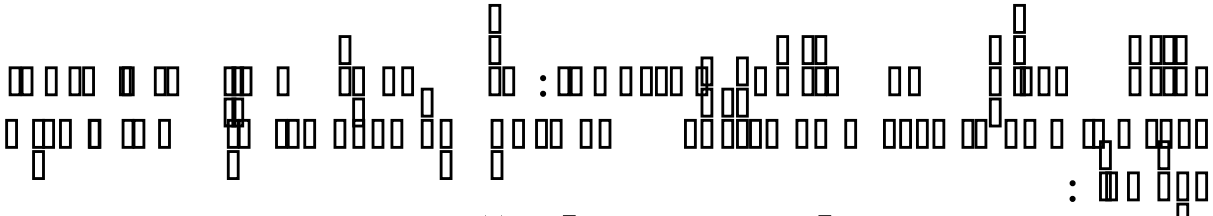

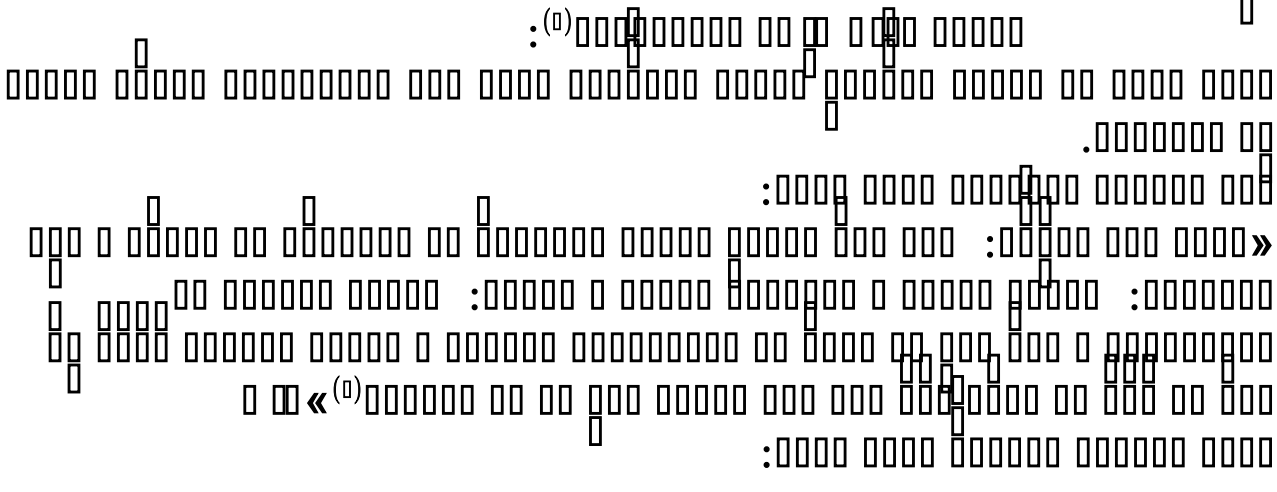

---

[1] () انظر: «شرح صحيح مسلم» (2/18) و«روضة الطالبين» للإمام النووي (7/283-284 ، ط: دار الكتب العلمية) أثناء كتاب « الرِّدة», و«الفروق» للقرافي (1/224- ط: دار الكتب العلمية) و«الذخيرة» (12/13- ط: دار الغرب الإسلامي), و«كتاب الصلاة» لابن القيم (ص/53-54 ، ط: المكتب الإسلامي) و«النونية» له بشرح ابن عيسى (2/117- ط: المكتب الإسلامي), و«جامع العلوم والحِكَم» لابن رجب في (شرح الحديث الرابع عشر), و«معين الحكّام فيما يتردّد بين الخصمين مِن الأحكام» للطرابلسي الحنفي (ص/144- ط: الحلبي), و«حاشية ابن عابدين» (3/196 ـ ط: دار الفكر) ، و«شرح حدود ابن عرفة» (2/634- ط: دار الغرب الإسلامي), و«منهج الطلاب» للأنصاري الشافعي (7/567-568 ، مع حاشية الجمل على شرح المنهج, ط: دار الكتب العلمية). وغير ذلك من كتب أهل العلم رحمهم الله جميعًا.
وقد أطال الشيخ علوي السقاف حفظه الله في كتابه: «التوسط والاقتصاد» (ط: دار ابن القيم بالدمام) في ذِكْرِ هذه الأقوال وغيرها؛ فراجعه.
كما مضى نحو ذلك في بعض أقوالَ المعاصرين السابقة في هذا الكتاب؛ وبالله التوفيق.

[2] () «الوسيط» للغزالي (6/425 – تحقيق محمد تامر ، وأحمد محمود ، ط: دار السلام).

[illegible]

1 () يعني: أصحاب أبي حنيفة في كتبِهم.

2 () «روضة الطالبين» للإمام النووي رحمه الله (10/64 – 71) باختصار ما لا يخص موضوع البحث ، في أماكن النُّقْط المذكور.

- [illegible]

- [illegible]

- [illegible]

---

[1] () «جامع العلوم والحِكَم» (1/130 ، شرح الحديث الرابع عشر من الأربعين النووية).

[2] () نقل هذا النص وما قبله النوويُّ في الموضع السابق مِن «روضة الطالبين».

[3] () وراجع فتوى الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي السابقة قريبًا في أقوال أهل العصر.

- [illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [

والحمدلله ربِّ العالمين

وكتبه
صلاح الدين فتحي
مغرب 23/3/1421

EMAIL: Salah_hall@gawab.com

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[

```
□
□□□ □□ □□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□ □□ □□□□□□□ □□ □□□□□□□□□ □□□□ □□□□□
□□
□□□□ □□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□
□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□ □□
□□□□ □□□□□□□ □□
□□□□ □□□□□□□ □□
□□□□ □□□□□□ □□
□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□ □□
□□□□ □□□□□□ □□
□□□□ □□□□ □□□ □□
□□□□ □□□□□□□ □□
□□□□ □□□□□□ □□
□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□
□□□□ □□□□□□ □□
□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□
□□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□□□ □□□
```

69

146

152

الشيخ حمود بن عُقلاء الشّعيبي رحمه الله تعالى 281
فصلٌ جامعٌ285
فصلٌ: في لوازمِ ذلك 287
فصلٌ: في بيانِ بعض ما يُلْحَق بالسَّبِّ مِنْ أَفعال وأقوالٍ289
إلقاء المصحف في القاذورات 289
جَحْد القرآن ، أو بعضه ، أو التعرُّض له بزيادةٍ ونقصانٍ ، أو القَــدْحِ في إِعْجَازِه 292
قراءة القرآن على أصوات الدُّف ومـا يُشْـبهه مِـن آلات المعـازف 292
اعتقاد عدم صلاحية أحكام القرآن ونصوصه لهذا الزمان 293

الخَلْـط بيــن نصوصــه وأحكــامه وبيــن غيرهــا مِــن كلام البشــر وعــاداتهم وتنظيمــاتهم وخططهــم علــى ســبيل التســوية بيــن القرآن وبين هذه الأشياء 293
وأخيرًا 294
فهرس الفوائد
فهرس الموضوعات

EMAIL:

SALAH_HALL@GAWAB.COM

والحمد لله رب العالمين